



قطاع الثقافة

مكتبة الشعراوي الإسلامية



المعجزة الكبرى

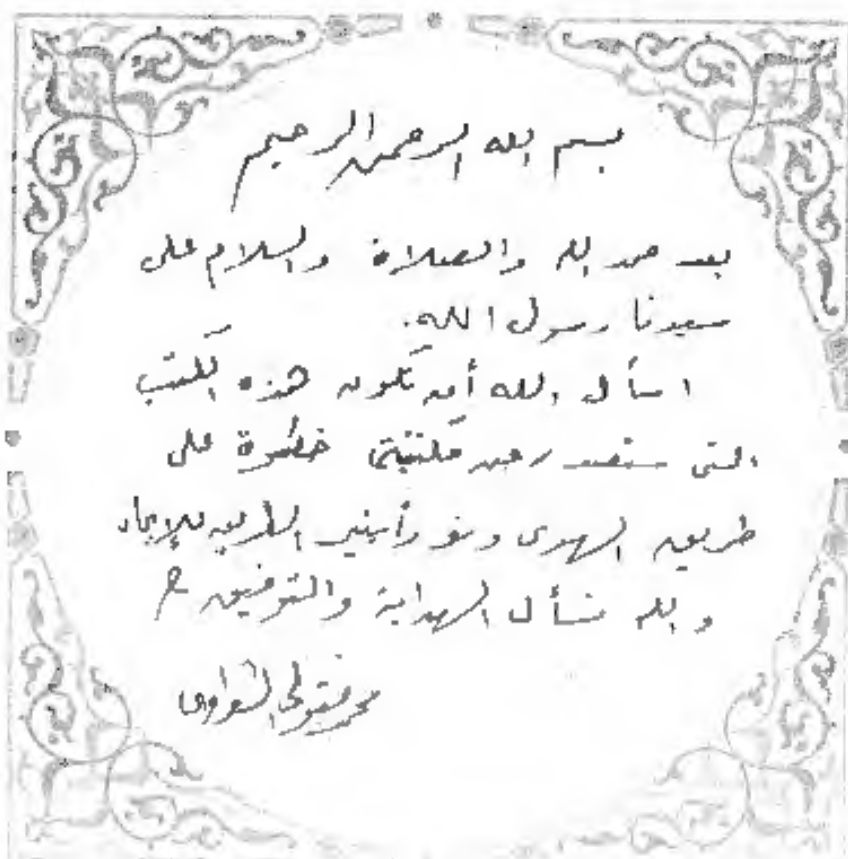
فضيلة الشيخ

محمد متولي الشعراوي



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعد



بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.

أنا، الله أمة تكونه هذه الكتب

التي كتبتها رغبة في خدمة هذه الأمة

طريقهم إلى الله ورفق راسخين إلى الله بغيرها

وإن شاء الله تعالى بالبركة والتوفيق

محمد بن عبد الله

الإخراج الفتي

عبد الكريم محمود

القلا

أسامة أحمد نجيب

الفصل الأول

قبل المعجزة



الرسول .. والرسالة

أيد الله سبحانه وتعالى رسوله
محمداً ﷺ بمعجزات كثيرة ، هذه
المعجزات بعضها مادية ، يراها
الناس ، فقد نبع الماء من بين
أصابعه الشريفة ، وكان الغمام
يظله أينما سار ، وانشق له القمر ، وغيرها كثير .
ولكن هناك معجزة كبرى لم يُتَحَ لبشر أن يطلع عليها .
بلغ فيها رسول الله ﷺ سدرة المنتهى وتجاوزها ليرى
الآية الكبرى لله في السموات ، ووصل ﷺ إلى منزلة
أعلى من منزلة جبريل عليه السلام ، أقرب الملائكة إلى
الله جل جلاله ، فعند سدرة المنتهى توقف جبريل ليتقدم
رسول الله ﷺ .. وقال جبريل للرسول الكريم : أنت يا
رسول الله ، إن تقدمت اخترقت ، وأنا إن تقدمت
اخترقت .

وهذا الكتاب عن المعجزة الكبرى التي خص بها الله
رسوله ﷺ وهى الإسراء والمعراج ، فما من نبى صعد
إلى السموات ، حتى بلغ سدرة المنتهى وتجاوزها ، ثم
عاد فى نفس الليلة ليكمل حياته على الأرض إلا خاتم
الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

وحينما نتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج ، فلا بد

أن يسبق ذلك حديث عن الأسباب التي سبقت المعجزة ،
أو التي حدثت من أجلها المعجزة ، رسول الله ﷺ خاتم
الأنبياء ، وصاحب الخلق العظيم ، بُعث بالرسالة الخاتمة
إلى الدنيا كلها .

وأعدَّ ﷺ إعداداً إلهياً لتحمل الرسالة الكبرى ، خاتم
رسالات السماء إلى الأرض ، فجعله ربه أمياً لا يقرأ ولا
يكتب ، حتى لا يقال : إنه أخذ عن حضارات الأمم
السابقة ، أو أنه تعلم على يد معلم فروى له وعلمه .

ولكن الله - سبحانه وتعالى - أراد أن يكون هو وحده
المعلم لرسوله الكريم ، وأن يكون تلقى العلم لرسول
الله ﷺ من الله جل جلاله مباشرة ، ودون أى حضارة
أرضية ، وكانت هذه فى حد ذاتها معجزة ، أن يختار الله
- سبحانه وتعالى - رسولاً أمياً .. ثم يجعله معلماً
لل البشرية كلها إلى يوم القيامة .

وهكذا نشأ محمد ﷺ ، لم يجلس إلى معلم ، ولم
يعرف عن حضارة الدنيا شيئاً ، ولم يقرأ حرفاً فى
حياته ، ولذلك عندما نزل جبريل - عليه السلام - بأول
آية من القرآن الكريم وقال : ﴿ اقْرَأْ .. ﴾ [١] ﴿ [العلق] رد
رسول الله ﷺ بفطرته السليمة « ما أنا بقارىء » أى :
لا أعرف القراءة والكتابة .

ولكن المَلَكَ ضم رسول الله ﷺ إليه ، وقال له :

﴿اقرأ.. (١)﴾ [العلق] للمرة الثانية .. ورد الرسول الكريم ﷺ قائلاً : « ما أنا بقارىء » .. وتكرر نفس المشهد للمرة الثالثة .

والسؤال هنا .. ألم يكن الحق - سبحانه وتعالى - الذى أرسل جبريل عليه السلام يعرف أن محمداً ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ؟ إنه هو الذى اختاره أمياً ، وأعلن ذلك فى التوراة والإنجيل وفى الكتب السماوية .. قبل أن تبدأ حياة رسولنا الكريم على هذه الأرض بروقت طويل .

وإذا قرأت قول الحق سبحانه وتعالى :
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .. (١٥٧)﴾ [الاعراف]

تجد أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بعد أن حكى الحق - سبحانه وتعالى - قصة اليهود عندما عبدوا العجل ، وكيف أن موسى - عليه السلام - اختار من قومه سبعين رجلاً .

وكلمة اختار معناها أن ما فعله موسى هو فعل اختياري يستخدم فيه العقل ، اختار موسى - عليه السلام - سبعين رجلاً .. رجل من كل سبط من أسباط اليهود .. حتى تكون كل فرق اليهود ممثلة . وفى الموعد المحدد للقاء الله .. أراد الله - جل جلاله - أن ينبه قوم موسى إلى خطورة ما فعلوه بعبادتهم العجل ،

فأخذتهم الرجفة وهى الزلزال الشديد ، الذى يهز الإنسان
هزاً عنيفاً بحيث يحس أن روحه تكاد تغادر جسده .

وكانت هذه الرجفة عقاباً على أن هؤلاء الرجال لم
يقاوموا اليهود الذين عبدوا العجل مقاومة جدية وعنيفة .

وهنا تضرع موسى إلى ربه وقال : يا رب .. أنت
أرحم من أن تهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فأكتب لنا
رحمة فى الدنيا والآخرة ، ثم أنبأ الحق - سبحانه وتعالى
- موسى ليبين قومه بأن رحمة الله مكتوبة للذين يتبعون
الرسول النبى الأمى .

وهكذا نعرف أن الله - سبحانه وتعالى - اختار رسوله
أمياً منذ الأزل ، وهذا إعجاز للرسول الكريم صلوات الله
عليه ، حتى لا يقال : إنه قرأ فى كتب الأولين .. أو جلس
إلى معلم .

إذن : فجبريل ناطقاً بالوحى .. مُرسلاً بكلام الله ..
قائلاً إقرأ .. كان يقصد معنى آخر غير القراءة والكتابة
الدنيوية .

ولذلك جاءت الآية الكريمة :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق]

فالحق - تبارك وتعالى - يريد أن يلفتنا إلى أن رسوله
الكريم الأمى سيعلمه الله ليكون معلماً للبشرية كلها إلى
يوم القيامة .

الحق والظلم

- واختار الله - سبحانه وتعالى - رسوله مشهوداً له بالصدق من قومه ، فقد عاش بينهم أربعين سنة قبل البعث بالرسالة ، لم يعرفوا عنه ﷺ كذباً قط .. وكان - وهو الملقَّب بالأمين - يحفظ عنده الناس ما يخافون عليه من أغلى ما يملكون .

ثم كلف رسول الله ﷺ بالرسالة ، وطلب منه - عليه السلام - أن يجهر بالدعوة ، ولكن سادة قريش وزعماءهم تصدوا له ؛ لأنهم رأوا في دعوته عليه الصلاة والسلام نهاية لظلمهم وضياعاً لنفوذهم ، فبدأوا يحاربون الدين الجديد من أول يوم ، ذلك الدين الذي جاء ليسوى بين السيد والعبد ، ويعطى الحقوق لأصحابها .

وكانت صيحة الإسلام قوية في آذان أئمة قريش ، فرزلتهم ، وجعلتهم يحاولون أن يحتوا هذا الدين الجديد بأية وسيلة ، وكان لرسول الله ﷺ حمايتان يحميانه من الإيذاء الخارجى بنفوذهما ، فكانت قريش لا تستطيع أن تتعرض لرسول الله ﷺ بإيذاء مباشر ، الأولى : حماية عمه أبى طالب .

أما الحماية الثانية فكانت من زوجته السيدة خديجة - رضى الله عنها - التى كانت خير سكن لرسول الله ﷺ

فإذا عاد إلى البيت أخذت تُسْرِى عنه ما يلقاه من عناء
قريش واضطهادهم ، فتمسح بيدها كل آثار ما لاقاه
رسول الله ﷺ من عنت وعذاب .

وبدا قادة قريش وزعمائهم يبحثون عن حل ، إزاء هذا
الدين الجديد ، الذى جاء ليسلبهم سلطانهم ونفوذهم
الدنيوى ، وكان أول ما فكروا فيه .. هو أن يعطوا رسول
الله ﷺ ما يريد من جِساة الدنيا ، لينصرف عن هذه
الدعوة ، ولأنهم عبدة دنيا فكانوا يعتقدون أن المال أو
السلطان أو النفوذ .. هو هدف رسول الله - عليه الصلاة
والسلام - فاجتمعوا وقالوا : نعطيه الدنيا لعله يترك هذه
الدعوة وينصرف عنها .

وذهبوا إلى عمه أبى طالب ، ليعرض على رسول الله
ﷺ عرضهم الدنيوى . قالوا : إن كنت جئت بهذا الحديث
تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً
وإن كنت تطلب الشرف فإنا سَوَدُناك علينا ، وإن كنت
تريد ملكاً مَلَكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما
يأتيك (وهم يقصدون بذلك الوحي) رؤياً تراه قد غلب
عليك (الرئى هو الجن) ، بذلنا من أموالنا فى طلب
الطب حتى نبرئك منه .

ولكن كل هذه العروض ومغريات الدنيا .. لم تُثِرْ فى

نفس رسول الله ﷺ ولا قطرة من الإغراء ، فقد جاء يدعو الناس إلى العمل من أجل الآخرة ، ولم يجيء ليغريهم بمال الدنيا وسلطانها ، لأن الآخرة هي الحياة الحقيقية للإنسان ، ففيها الخلود ، وفيها النعيم بقدرة الله سبحانه وتعالى . وفيها من النعم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت]

وإذ لك حينما أراد عمه أبو طالب أن يقنعه بالعرض الدنيوي ، الذي تقدم به كفار قريش ، قال رسول الله ﷺ « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أبليغ هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته » .

محاولة التشكيك والتعذيب

وهكذا فشل الإغراء الديوى وأحس كفار قريش وهم يرون الدين الحديد يرداب ششراً أنهم لا بد أن يبحثوا عن وسيلة أخرى يواحبون بها دعوة رسول الله ﷺ فقالوا، سُئِلْتُ أَتْبَاعَهُ فِي مِرْسَالَةٍ تَحْرِي الشك إلى قلوبهم هي أنه ليس رسولاً ، فإذا دخل الشك في قلوبهم ، انصرفوا عنه وانتهت الدعوة .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)﴾ [الرعد]

وهكذا ردت السماء على اسكفار ، وفشلت المرحلة الثانية واقتنعوا أنهم إن لم يستطيعوا إغراء رسول الله ﷺ أو التشكيك في رسالته ، فإنهم لا بد أن يبحثوا له عن طريق آخر . هو أن يُعَذِّبُوا كل من اتبع دين محمد وآمن برسالته تعذيباً وحشياً يصل إلى القتل حينئذ سينصرف الناس عن الدعوة خوفاً من بطش سادة قريش ، ولا يجد رسول الله ﷺ مَنْ يُؤْمِنُ بِرِسَالَتِهِ

وبدأ التعذيب ، ولم يكن هناك مَنْ يحمي أتباع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فقد كانوا ضعفاء ، وكانوا قلة ، وكانوا أذلة ، ولم يكن أممهم إلا بحمل التعذيب

وكان آل ياسر الذين حاءوا من اليمر وأسلموا في مكة هم أول شهداء في الإسلام . كان الأب هو ياسر ، والام سمية ، والابن عمار بن ياسر . حاول أبو جهل والكفار معه أن يخنقوهم عن ديبهم فم يفلحوا ، فأخذوهم إلى البطحاء (أى اصحراء) بعيداً عن قس مكة وأخذوا يعذبونهم

ومر رسول الله ﷺ عليهم ، وهم يُعذَّبون فقال « صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة » . واستمر التعذيب حتى استشهدت سمية بطعنة في بطنها من حربَة أبي جهل ، وكذلك استشهد زوجها

بشارة السماء

وتوالت أحداث التعذيب على كل مَنْ آمَن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام - ولكن هذا لم يجعل أحداً من الذين آمنوا . يرتد عن إيمانه ، بل كانوا يزدادون إيماناً وتمسكاً بدينهم ، ويرددون وهم يُعَذِّبون أحد أحد وكانت هذه الكلمة تزلزل الكفار من الداخل ، وتجعلهم يُعَذِّبون المسلمين بقسوة وغلظة وضراوة . والسماء ترقب ما يحدث . والقرآن يُبشِّر المسلمين بالنصر ، ويأبهم هم الذين سَيَغْلِبُونَ وينتصرون

وينزل قول الحق - تبارك وتعالى

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥ ﴾

[القمر]

ويقراً رسول الله ﷺ الآية الكريمة ، ويقول عمر رضي الله عنه أيّ جمع هذا ونحن قلة وأذلة ؟ وتمصى السنوات ، ويلتقى المسلمون والكفار في غزوة بدر ، ويُهْزَمُ الكُفَرُ ويفرون من أرض المعركة ، بعد أن قُتِلَ منهم أكثر من سبعين من زعماء قريش . ويقف عمر بن الخطاب وقد وضع التأثير الشديد على وجهه ، وهو يقول صدقت يا رب .

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥ ﴾

[القمر]

وهنا لنا وقفة ، ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادراً على

أَنْ يَصْرَ سَيِّءٌ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ؟ أَلَمْ يَكُنْ جَلَّ جَلَالُهُ قَادِرًا
عَلَى أَنْ يَجْعَلَ أُنْثَى قَرِيبًا أَوْرَ مَنْ يُؤْمِنُ ؟

يقول رب الله . سبحانه وتعالى . أراد أن يكون
المؤمنون الأوتار هم قمة الإيمان لا نعرهم دنيا ، ولا
يفتنهم ما ولا يردو . شبيهاً إلا الإيمان والتقوى
ولذلك جعلهم قلة . وجعلهم أدلة سيوياً فقط . حتى لا
يبدل هذا الدين إلا ص في الإيمان الذي يضحى بماله
وولده ، وكل ما يملك من مقومات الحياة في سبيل الله
ذلك أن هؤلاء المؤمنون الأوتار هم الذين سيحملون
الدعوة إلى الدنيا كلها

ولتصر الدعوة صامره بغيره كما برلت لا بد ألا يكون
في صدور هؤلاء المؤمنين الأوتار درة من الدنيا ، إنهم
سيفتحون بلاد العالم وتعرض عنهم الثروات ، وتفتح
لهم أبواب القصور .

لو كان في قلوبهم ذرة من حب الدنيا مالوا إليها .
وإذا مالوا ، ضاعت قضية الدين في أول الدعوة

ولذلك لو بدأ الإسلام بأصحاب النفوذ في الدنيا
وأصحاب الأموال ، لآمن الناس نفاقاً ورياءً وتقرباً من
أصحاب النفوذ وأسلطان . تماماً كما يحبط المنافقون بكل
حاكم أو صاحب دنيا ، ولا تصرفوا بعد ذلك عن الدين في

أول أزمة كما يصرف المنافقون من حول أي حاكم أو صاحب نفوذ إذا رز عنهم الجاه والسلطان .

فأله - سبحانه وتعالى - لا يريد لبيه أن يحمله المنافقون إلى أهل الأرض ليصبح سلعة تُباع وتُشترى . وتتغير وتتبدل لمن يدفع الثمر . لكنه يريد أن يحمل هذا الدين إلى الدين كلها صادقوا الإيمان الذين لا يبيعون دينهم بدينهم . واسين يحافون الله أشد من خوفهم من الناس جميعاً فيقفون يعلنوا كلمة الحق - دون رهبة أو خوف - ولا يحرفون من أجل المال ومتاع الدنيا

ولذلك كانت السنوات الأولى للإسلام سنوات تطهير واختبار للإيمان الصادق ، فلم يكن من يدخل هذا الدين ، ينال خيراً دنيوياً ، بل كان يدخله وفي قلبه ذلك الإيمان ، الذي يجعله يتحمل كل شيء في سبيل إيمانه عقيدة صادقة في القلوب هذا ما أراده الله سبحانه وتعالى

ولم تكن العقيدة الصادقة بالقول فقط ، ولكنها كانت بالتجربة الإيمانية الصادقة فهناك فرق بين القول وبين الأداء ، القول سهل ، لكن التجربة العملية هي الامتحان الحقيقي للنفس البشرية

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ

يَتَحَدُّوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِئَحْثُ اللَّهِ حَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [التوبة]

وهكذا كانت بداية الإسلام ، وما تعرَّض له المسلمون
الأوائل من أنواع التعذيب والاضطهاد ، هي ما أراده الحق
- تبارك وتعالى - لدينه ، يطره هذا الدين من المنافقين
وضعاف الإيمان ، ولا يبقى فيه إلا أقوىاء الإيمان
المخلصون لدينهم .

وتحمل رسول الله ﷺ وتحمل المؤمنون الإيذاء بصبر
ورضاء ، كبوا كلما واجهوا اضطهاد ، وكلما تعرضوا
للأذى ازدادوا التصاقاً بدينهم وإيماناً بربهم ، وكلما
زاد الاضطهاد كان تمسكهم بالدين أقوى

وزاد جنون قريش

ولكن قريشاً كن يزاد حمونها كل يوم . وذهبت إلى عبد المطلب عم رسول الله ﷺ تطلب منه أن يستر محمد - عليه الصلاة والسلام - لدعوة . ودر حوار بين رسول الله ﷺ وعمه ، أعلن فيه ان رسول ﷺ بمسكه الكاس بالدعوة ، واهتر أبو طالب من موقف ابن أخيه الذي كان قمة في الإيمان ، وقال له اذهب يا ابن أخى ففهم ما أحببت . فوالله لا أسلمك بشيء تكرهه أبداً

وطلب أبو طالب من بني هاشم وبني عبد المطلب أن يمنعوا قريشاً عن رسول الله ﷺ فاستجابوا له جميعاً إلا أنا لهب الذي كانت عدوته للإسلام ليس فوقها عداوة

وهكذا كان رسول الله ﷺ وهو يتعرض لأقسى ما يتعرض له نبي ، يحتذى بقومه من أذى قريش وتأتي خديجة - رضى الله عنها - فتمسح به ما يلاقه من عناء في الدعوة إلى الله وأبو بكر يشتري العبيد الذين أسلموا ويعتقهم ، حتى ينجيهم من العذاب والموت وكان رسول الله ﷺ يتحمر الأذى وهو صابر ، يلقون القاذورات في طريقه ويضعونها على ظهره وهو يصلى ، فيقابض كل هذا بكريم خلقه وعظيم سماحته وعندما اشتد الأذى على المسلمين أشار عليهم رسول

الله ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة هرباً من الظلم والطغيان .
وأسلم عمر بن الخطاب ، وأسلم حمزة بن عبد
المطلب ، وكان كلاهما قوياً مرهوباً ، ولأول مرة صلى
عمر بالمسلمين عند الكعبة ، بعد أن كانوا يؤدون صلاتهم
في شعاب مكة ، خوفاً من أذى قريش ، وبدأ رسول
الله ﷺ يدعو القبائل التي تأتي إلى مكة للحج ، أو للتبرك
بالبیت الحرام ، أو للتجارة إلى الإسلام

وأحسّت قريش بالخطر الجسيم الذي يتهدها ، فبدأوا
يحولون تشويه دعوة الرسول الكريم . قالوا ساحر ..
سحر الناس وقالوا شاعر وقالوا كاهن ولكن كل
هذه الدعاوى سقطت .

فلو كان رسول الله ﷺ ساحراً لسحر كفار قريش ،
لأن المسحور لا إرادة له مع الساحر ، ولو كان - عليه
الصلاة والسلام - شاعراً لاشتهر بالبلاغة في حياته ،
ولكنه - عليه الصلاة والسلام - لم يقل بيتاً من الشعر ،
أو أحس الناس ببلاغته طوال أربعين سنة عاشها
معهم ، ولو كان - عليه الصلاة والسلام - كاهناً يأتى
بالقرآن من عنده ، لتناقض مع نفسه ، لأن الإنسان يسي
مع السنين والزمن .

وجاء مدد السماء

ولكن كل هذا لم يفتح ، واستمر السحر في طريقها
تنتشر وتنتشر ، وبم هاشم وبنو عبد المطلب يحمون
محمداً من إيذاء قريش . وكان من أمرهم أحرس ،
حتى يتحلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب عن حماية رسول
الله ﷺ

ماذا تفعل قريش ؟ قررنا مقاطعة بني هاشم وبني عبد
المطلب ، وكانت سنوات المقاطعة التي عانى فيها رسول
الله ﷺ والمسلمون من الجوع حتى أكلوا ورق الشجر
وكان صناديد قريش قد كتبوا كتاباً تعاقبوا فيه على
مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة ، فلا
يبيعونهم شيئاً ولا يتاعون منهم ، ولا يُزوّجونهم ولا
يتزوجون منهم ، وعلقوا هذا الكتاب داخل الكعبة .

واستمر الحصار حوالي ثلاث سنوات ، كانت قد
ترجو خلالها أن يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب ،
محمد - عليه الصلاة والسلام - ويسلموه لهم ليفعلوا
ما يشاءون ، وسلط الله - سبحانه وتعالى - أرضه
الأرض ، فأكلت هذه الصحيفة ، فيما عدا كلمة (باسمك
اللهم) التي بدأت بها ، وأبلغ الوحي رسول الله ﷺ
بذلك ، فأبلغ عمه عبد المطلب الذي أبلغ كفار قريش ،

وانتهت هذه العملية بمزيق الصحيحه

ولكن هذا لم يكن النهاية ، فلم تمض شهور على
نمزيق الصحيحه حتى هاجأت رسول الله ﷺ فاجعت
في عام واحد ، اهتزت لهما نفسه اشريفة مات عمه
أبو طالب وماتت زوجته حديجة رُسمي هذا العام عام
الحزن وبعد أن فقد رسول الله ﷺ حماية عمه وحضان
زوجته ازداد إيذاء الكفار للمسلمين

كما ازداد إيذاؤهم لرسول الله ﷺ الذي تحمل في صدر
وجلد .

وضاق الرسول الكريم بإيذاء قريش . وضاق بعناد
الكفار من أهل مكة ، فخرج وحيداً دون أن يحبر أحداً إلى
الطائف ، يلتمس من أهلها (بنى ثقيف) النصرة
والمنعة ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ولكنهم استقبلوه أسوأ
استقبال .

سلطوا عليه ﷺ سفهاءهم يسبونه ويرمونه بالحجارة ،
حتى دميت قدماه الشريفتان . والتجأ إلى بستان يملكه
عنبه وشيبة ابنا ربيعة ، وجلس في ظل شجرة ، وقد بلغ
منه الحزن مبلغه ، وهو يرى ﷺ جحود خلق الله
دعوته إلى دين الحق .

لم يكن أمامه إلا السماء ، تلك التي كلّفته بالرسالة

يُبْلِغُهَا لِلنَّاسِ . فَقَدْ اسْتَنْفَذَ ﷺ كُلَّ أَسْبَابِ الْأَرْضِ مَعَ قَوْمِهِ وَمَعَ غَيْرِهِمْ . لَكِنَّهُ ﷺ قُبِّلَ بِالْإِيْذَاءِ وَالْجُحُودِ وَالتَّكْرَانِ . رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، يَشْكُو ظِلْمَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

« اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى إِنْسَانٍ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي إِيَّيْ مَنْ تَكَلَّمَنِي . إِيَّيْ بَعِيدَ يَتَجَهَّمَنِي أَوْ إِلَى عَدُوِّ مَلِكْتِهِ أَمْرِي . إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي . وَلَكِنْ عَاقِبَتِكَ أَوْسَعُ لِي .. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ »

وَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ مَدَدٍ مِنَ السَّمَاءِ يَأْتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لِيُؤَكِّدَ لَهُ أَنَّهُ إِذَا كَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ تَخَلَّوْا عَنْهُ ، فَإِنْ رَبَّهُ سَيَحْتَفِي بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ .

وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَحِيداً كَمَا خَرَجَ مِنْهَا ، وَعَرَفَتْ قَرِيْشُ قِصَّةَ الطَّائِفِ ، فَاشْتَدَّ إِذَاؤُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ آمَنُوا مَعَهُ

وَفِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ جَاءَ مَدَدُ السَّمَاءِ ، وَحَدَّثَتُ الْمَعْجِزَةَ « مَعْحِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ »

الفصل الثاني

سبحان الذي أسرى



رسول الله ﷺ تعرض لأذى
 كثير من المشركين والكفار ، وفي
 عام واحد ، هو عام الحزن - ماتت
 زوجته خديجة - رضى الله عنها -
 ، وكانت سكناً له ، تداوى ما يلقاه
 من مشقة في سبيل الدعوة ، كما مات في نفس العام عمه
 أبو طالب الذي كان حماية خارجية له يحميه من الأذى
 وذهب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى
 الطائف ، عله يجد هناك من يسمع كلمة الحق ويؤمن
 بدين الله ولكنه بدلاً من ذلك وجد الجحود والكران ،
 وسلطوا عليه سفهاءهم فأسمعوه ما يؤذيه ، وسلطوا عليه
 الصبية فقتلوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ،
 والتجأ إلى بستان هناك يلتمس الحماية ، وحلس رافعاً
 يديه إلى السماء ، مياجياً ربه لما يلقاه من أهل الأرض

والله سبحانه وتعالى هو القائل لرسوله الكريم
 ﴿وَلَا تَكُ فِي صِفِّ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٢٠)﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 وَلَدَيْنَ هُمْ مَحْشُودٌ (٢١) ﴿[نحر]

وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة ، ولم يجد إلا المصعب
 ابن عسى أحد كفار مكة ليحيره عند الدخول ، كل ما
 تعرض له رسول الله ﷺ كان قاسياً على النفس ، فأراد

الحق - سبحانه وتعالى أن يلفت رسوله الكريم أنه إذا ضاقت عليه الأرض فإن ملكوت السماء يحتفى به ويرحب به ، وأن ربه الذي كلفه بهذه الرسالة السامية - بلا شك سينصره رغم كل هذه الشدائد .

ومن هنا جاءت معجزة « الإسراء والمعراج »

وقبل أن نبدأ في الحديث عن المعجزة . فإننا لا بد أن نلتفت إلى بداية سورة الإسراء التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [البقر]

وبداية السورة بكلمة ﴿ سُبْحَانَ ﴾ معناه النزيه أى تنزيه الله عز وجل عن أن يكون له مثيل فى صفاته أو أفعاله وسبحان هى تدرية مطلق لله عز أن يكون له شبيه فيما خـو لا فى الذات ، ولا فى الصفات ، ولا فى الأفعال . فالله سبحانه وتعالى موحود وأنت موحود ولكن هل وحدك كوحود الله جل جلاله ؟

الله سبحانه وبعبانى سميع وأنت لست سميع ولكن سميع ليس كسميع الله الله سبحانه وتعالى له ذات وكيان وأنت لك ذات وكيان ولكن لا مقارنه

الفصل لله

من هنا ، فإنه إذا كان لله فعل . فلا يمكن أن يقارن بأفعال البشر . إن فعل الله خارج عن نطاق قدرات البشر ، وفوق طاقة عقولهم ، ولذلك إذ فعل الله - سبحانه وتعالى - شيئاً فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تدرك أسرار الفعل ، ولأن الله - سبحانه وتعالى - يفعل ما يشاء . لا تحدّه قوانين ، لأنه هو خالق القوانين ، ولا يحتاج إلى أسباب ، لأنه - سبحانه وتعالى - هو الذي أوجد الأسباب .

فإن الله ليس كمثله شيء ، وكل مخلوقات الله تخضع لمشيئته جل جلاله ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يخضع لمشيئة أحد من خلقه ، لأن ذاته وصفاته وأفعاله فوق كونه كله ، ولذلك فإن آيات الله لا تخضع لقوانين الكون . ولقد أعطانا - سبحانه وتعالى - أمثلة كثيرة على ذلك ، وأبطل قوانين الكون برسله وأنبيائه ، ليعطيهم معجزات تؤكد صدق بلاغهم عن الله

فالنار خاصيتها الإحراق ولكن عندما أمسك الكفار بإبراهيم - عليه السلام - يحرقوه في النار ، لم يجعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم يقلت منهم ، أو يخفيه عن أعينهم ، أو ينزل المطر لتسطف النار ، ولو فعل الله هذا

نفس الكفار لو لم يحتف إبراهيم عن أعيب لأحرقناه ،
ولو لم يبرر بمطر لأكلت النار جسد إبراهيم
ولكن الله تعالى حكمته جعل الكفار يمسكون بإبراهيم ،
وجعل النار مشتعلة متأججة ، وأسقى الكفار إبراهيم عليه
السلام في الدر . وكنت كل العقور والأسباب تقور إن
إبراهيم سحيرة ولكن حائق النار وموحدها قار

﴿ قُلْ يَا زُرَّكَوسِ رُدَّا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء]
وهكذا سار سب سبانه وتعالى خاصية الإحراق
عن النار ولا أحد يستطيع أن يقول كيف ، ولا أن
يسأل هذه السؤال ، ولي يصل أحد إلى جواب مهما
بحث ، لأن هذا فعل الله معجزة أرادها أن تكون فوق
مستوى العقول وانفكر ابشرى إلى يوم القيامة
وعندما كان موسى - عليه السلام - وأتباعه يفرّون من
فرعون وجنوده ، وفرعون يلاحقهم بجيشه ، ورأى أتباع
موسى البحر أمامهم ، وحيش فرعون وراءهم ، ماذا قال
أتباع موسى ؟

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجُمُعَانِ قَالَ
أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء]
وكان هذا هو المنطق والعقل ، ولكن موسى عليه

السلام وهو نبي ، يدرك أنه مُرْسَل من رب - سبحانه -
لذلك فإن الأسباب لا تحكمه وعندها قال موسى كما
يروى لنا الحق

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٢٦)

ثقة في الله سبحانه وتعالى ، أنه لن يتخلى عن ربه
وفعلاً جاء مدد السماء ، وإذا بالحق - سبحانه - وتعالى -
يوحي لموسى :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَتَمْلُقْ فَكَانَ كُلُّ
فَرْقٍ كَالطُّرْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٧)

وهكذا كن موسى - عليه السلام - على يقين أنه إذا
تخلت عنه أسباب الأرض ، فلن يتخلى عنه رب هذه
الأسباب ، ومنذ حدثت المعجزة وحتى يوم القيامة لن
يستطيع بشر أن يصرب البحر بالعصا فينشق وعيسى
عليه السلام حين أحيا الموتى بإذن الله ، وشفى
الأبرص كانت معجزة من خالق الأسباب ، ولن يستطيع
بشر أن يحيى ميتاً ، أو يشفى مريضاً بمجرد الإشارة .

كل هذه الأفعال ليس فيها كيف ، لأنها لا تُنسب
لأصحابها ، ولكنها تنسب إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ،
ولذلك تجد كلمة ﴿ سبحان ﴾ تأتي في القرآن الكريم في
الأشياء التي تقف فيها العقول ، مثل قول الحق سبحانه
وتعالى

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مِمَّا تُبْتِ الْأَرْضُ وَمِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) [يسر]

هل يستطيع أحد أن يصل إلى سر الخلق ؟ مستحيل
ذلك سواء كان الخلق مباشراً من الله ، أو بالأسباب من
الذكر والأنثى ، فإن سر الحياة لا يعلمه إلا الله سبحانه
وتعالى ، ولذلك تجد أن الإنسان قد كشف الله به من علمه
ما جعله يصنع الكثير في الكون ، يصنع الصواريخ ،
ويصل إلى القمر ، والعقول الألكترونية تشغل المصانع
بأكملها ، وما يطلقون عليه الإنسان الآلى .

ولكن كل هذه الأشياء تبقى عند درجة صناعتها .. بلا
حياة ، فلا هي تنمو ، ولا هي تتكاثر بل تقف عند
ما صُنعت منه ، فى نفس الحجم الذى صُنعت عليه ،
وبنفس الهيئة ، ولن يصل أحد من البشر إلى أن يصنع
من شئ ما ذكراً أو أنثى يتزاوجان ، أو ينمو ويكبر مع
السنين

فكان الحق - سبحانه وتعالى - حين يسبق كلامه
بكلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ فإنه يخبرنا بأن العقول البشرية
ستقف عند هذا ولا تستطيع أن تتجاوزه

معنى « سبحان »

وكلمة (سبحان) لم ترد في القرآن الكريم إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة ، لذلك حين تسمعها في كلام الله - سبحانه وتعالى - فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه لله ، بأن الفعل الذي تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله .

و ﴿ سبحان ﴾ اسم . وكل اسم لله يدر على الثبوت وعلى الدوام ، فكأن الله - سبحانه وتعالى - مُنزه قبل أن يخلق من ينزهه ، فإذا قرأنا قول الحق في القرآن الكريم

﴿ سبحان الذي أَسْرَى بِعِذِهِ ﴾ . (الإسراء)

نقول إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله - سبحانه وتعالى - ولم تتم بقوة رسول الله ﷺ البشرية ، ولذلك بدأ السورة الكريمة بقوله ﴿ سبحان الذي أَسْرَى .. ﴾ () ﴿ (الإسراء) أي أن كل ما سيأتي بعد ذلك منسوب بقدرته الله سبحانه وتعالى

وأحاديث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتناسب معه فإذا قلت إن طعلاً صرني بأقصى قوته تحتف كثيراً عما يحدث إذا قلت إن بصراً ملائمة في العالم صرني بكل قوته ، الفعل واحد وهو صرني بكل قوته ، ولكن

لفاعل مختلف ، هنا صفل صغير ، وهذا بطل العالم في
الملاكمة

وإذا قلت إن فلاناً الموظف البسيط أقام حفل عرس
لابنته ، وقلت إن أغنى رجل في العالم أقام عرساً لابنته ،
لفعل واحد وهو حفل العرس ، ولكن القدرة مختلفة ،
ولذلك فإن الأول تجده حفلاً بسيطاً ، والثاني تجده حفلاً
هائلاً .

وإذا قلت إنني سافرت إلى الإسكندرية بالقطار .
وقلت إنني سافرت إليها بالطائرة . وقلت إنني
سافرت إليها بصاروخ . الفعل واحد .. ولكن قوة الفعل
تختلف ، ولذلك فإن الرحلة باقطار تستغرق ساعات ،
وبالطائرة نصف ساعة ، وبالصاروخ دقيقة

إذن فالفعل يتناسب دائماً مع قدرة فاعله ، فإذا قال
سبحانه وتعالى إنه هو الذي أسرى برسوله ﷺ يكون
كل ما في الرحلة مما هو فوق قدرة العقول يمكن أن
يحدث

ولذلك حين قال العرب : ولرسول يروى ما حدث له
في الإسراء والمعراج أتدعى أنك أتيتها في ليلة ، ونحو
نصر بـ إليها أكباد الإبر شهرًا ، كان سؤالهم دليلاً على
أنهم لم يفهموا المعجزة ، فرسول الله ﷺ لم يقل

سَرَّيْتُ وَإِنَّمَا قَالَ أُسْرِي بِي وَمَنْ الَّذِي أُسْرِي بِهِ ؟
الله سبحانه وتعالى .

ولذلك عندما نسبوا الفعل لقدرة البشر ، نسوا قدرة الله
سبحانه وتعالى ونسوا أن محمداً - عليه الصلاة
والسلام - لم يقل سرَّيت إلى بيت المقدس . ولكنه
قال أُسْرِي بِي ، وكان يجب أن يتنبهوا إلى قدرة الفاعل
عندما يتحدثون ويقارنون المعجزة بقدراتهم البشرية

الإسراء بالروح والجسد

الحق - سبحانه وتعالى - يقول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ﴾ (١) [إسراء] ولم يقر برسوله ، والله جل جلاله في كونه عبيد وعباد . كلنا عبيد الله ، الطائع فينا والعاصي ، والمؤمن فيد والكافر . والعبد بالله ولكن عباد الله هم لذين أحلصوا له ، فاتحد اختيارهم مع منهج الله سبحانه وتعالى - ما قال لهم افعلوه ففعلوه ، وما نهاهم عنه انتهوا

ولذلك نجد في القرآن الكريم ، عندما يريد الله أن يتحدث عن المخلصين من خلقه لا يسميهم عبيداً ، ولكن يسميهم عباداً

واقراً قلوب الحق سبحانه وتعالى
﴿وَعَدُ الرَّحْمَنُ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ أَرْضٍ هَؤُلَاءِ حَاصِبُهُمْ
يُجَاهِلُونَ ثَلَاثًا سَلَامًا ۖ﴾ (٢٠٢) [الفرقان]

يقول إن الله - جل جلاله - قد استخدم كلمة عبده ﴿أيوتت إني حقيقتين هامتين الحقيقة الأولى أن لإسراء تم بالروح والجسد وبم يكن ماماً ولذلك في رؤية حقيقية فكلمة عبد لا تطلق إلا عند التقاء الروح والجسد

ولقد دار معاشر مع أولئك الذين استمعوا إني رسول

الله ﷻ وهو يروى لهم ما حدث فى الإسراء ، على أساس أنه تَمَّ بالروح والجسد . وإلا ما كانوا ناقشوا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فيما حدث ، فلو أن الإسراء كان مناماً - كما يدعى بعض الناس - ما كان هناك مجال للنقاش ، وهل يُناقش النائم فيما يراه ؟

إنك إن قلت إننى ذهبتُ إلى أمريكا وعُدْتُ إلى مصر . عشرين مرة فى ليلة واحدة هل يكذبك أحد فى منامك ؟ صعباً لا ، فما يحدث فى المنام لا يخضع لنقاش العقل ، ولا يخضع لمنطق الأحداث ، فمثلاً الملك فى عهد يوسف عليه السلام ماذا رأى فى المنام ؟

يقول الحق سبحانه وتعالى - فى سورة يوسف ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُصْرٍ وَأُحَرَ يُابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُنُونِى فِى رُءْيَاى إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (١٢) ﴾ [يوسف]

هل هذا كلام يتفق مع العقل والمنطق ؟ وهل يأكل البقر بعضه بعضاً ؟ مَنْ مَنَّا رأى بقرة تأكل بقرة أخرى ؟ طبعاً هذا لم يحدث ولو أن هذا كان قابلاً للحدوث . أياكل البقر الهزيل الضعيف البقر القوى السمين ؟ أم أن العكس هو الذى يتفق مع المنطق ، ولكن لا أحد منا رأى بقرة تأكل بقرة

ومع ذلك عندما حكى لملك منامه لورده وطاقاته
وطلب منهم أن يفتوه فيه ، هل ناقشه أحد منهم عقلياً
وقار له كسف يأكل البقر بعصه بعضاً إن هذا
لا يمكن أن يحدث ثم ناقشوه لأن الأحلام لا تناقش
بالعقل والباطن ، ولا تخضع لأسباب العشر .

ولكنهم قالوا كما يروى لحق سبحانه وتعالى ﴿ قَالُوا
أَصْغَاتُ أَحْلَامَ وَهَـٰٓؤُلَآءِ شَأْنِ الْأَحْلَامِ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف]
إن لم يدر نقاش إطلاقاً حور الرؤيا التي راها
امك في المنام ولا أى نوع من أنواع المحادثة
العقلية ، ولكن في معجزة الإسراء دار نقاش وقبلوا
كيف يمكن أن تأتيها في ليلة ونحن نصرب إليها أكباد
الإبل شهراً ؟

إن النقاش يدور على أن رسول الله ﷺ أخبرهم أن
الإسراء تم بالروح والحسد ، وجاء قسول الحق جل
جلاله ﴿ سَعَانُ لَدَىٰ أَسْرَىٰ بَعْدَهُ .. ۝ ﴾ [إسراء] ليؤكد
أن الإسراء تم بالروح والحسد .

العبد .. والرسول

هذه واحدة .. أما إثباتية . فهي أن الله حل حلاله يريد أن يثبت لنا أن العبودية له هي تسمى الامراتب اسي يصل إليها الإنسان ، فالعبودية لله عزة ما بعدها عزة ، وعطاء ما بعده عطاء . واما فرقتا في سورة الكهف بعد قول الحق حل حلاله

﴿ فَوَحَّدَا عَبْدًا مِنْ عَبْدِهِ آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَبْدِنَا وَعِلْمَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٠) قال له موسى هل أتبعك على أن تُعِصَ بِمَا عَلَّمْتُ رَبَّنَا ﴿ ٦٦ ﴾ [الكهف]

وبحق نعلم أن موسى رسول الله وكليمه ، وأن الله كلم موسى ، ومع ذلك فقد كان هناك عبد من عباد الله أعلم من موسى عليه السلام وأتبعه ليأخذ منه ، أو ليتعلم عنه .

إذن فالحق - سبحانه وتعالى - يريد أن يلفتنا إلى أن العبودية له هي أعلى الدرجات . بدليل أنه - سبحانه وتعالى - ذكر لنا في سورة الكهف قصة موسى والخضر عليهما السلام ، ولم يكن رسولا ولكنه كان عبداً ، فنال منزلة عالية عند الله - سبحانه وتعالى - وأنزل الحق جل جلاله عليه من فيوضات علمه ما لم ينزله على موسى عليه السلام

إذن فقول الحق سبحانه وتعالى ﴿أَسْرَىٰ بَعْدَهُ ..
 (١)﴾ [الإسراء] . وكلمة ﴿عَبْدَهُ﴾ هي حيثية الإسراء
 تقول إن الحق سبحانه وتعالى أراد بها أن الإسراء تم
 بالروح والجسد ، وأن منزلة العبودية لله سبحانه هي
 منزلة عالية جداً

ذلك أن العبودية لله شرف ، فالعبودية للبشرية نقيصة
 وذلة ، لأن السيد يريد أن يأخذ خير عنده وأن يحرده
 من كل حقوقه وماله ، ولكن العبودية لله عطاء
 وقديماً قال الشاعر :

حَسْبُ نَفْسِي عِزًّا بِأَنِّي عَبْدٌ
 يَحْتَفِي بِي بِلَا مَوَاعِيدِ رَبِّ
 هُوَ فِي قُدْسِهِ الْأَعَزُّ وَلَكِنْ
 أَنَا أَلْقَى مَمَاتِي وَأَيْنَ أَحَبِّ

والله - سبحانه وتعالى - يريد أن نعلم أن هذه المنزلة
 استثنائية لمحمد ﷺ ، لأنه عبد ، وهذا هو أعلى مراتب
 الشرف والعطاء من الله .

إذن فقد عرفنا يقيناً . أن الإسراء تم بالروح
 والجسد وكل النقاش الذي دار حول معجزة الإسراء
 وكيف أن رسول الله ﷺ أتاها في ليلة وهم بضربون
 إليها أكباد الإبر شهرأ هذا النقاش يعنى أن الإسراء كان

بالجسد ، وإلا ما كانوا كذبوا رسول الله ﷺ . لو أن
الإسراء كان مناماً أو بانروح فقط . كما يدعى بعض
صعاف الإيمان

والدير يحاولون أن يُشكِّكوا في هذه المعجزة . نكون
بدلك قد انتهينا من أن الإسراء برسول الله ﷺ من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تم بقوة الله -
سبحانه وتعالى - وقدرته وهذه القوه والمقدرة فوق
العقول ويكون أيضاً قد بينا أن الإسراء تم بالروح
والجسد مصداقاً لقوله تعالى ﴿ بَعِثْهُ ﴾ [الإسراء]
وأن العبودية لله هي أشرف المراتب ، وأعلاها وأقربها إلى
الله ، وأن الله - سبحانه وتعالى - يفيض من أسرار
ملكوته على عباده المحلّصين

إلى هنا وينبرر سؤالان هانئ السؤال الأول لماذا
تم الإسراء ليلاً ؟. والحق - سبحانه وتعالى - يقول
﴿ سَحَابَ الْمَدْيِ أَسْرَى بَعْدَهُ . (١) ﴾ [الإسراء] ولما لم
يتم الإسراء نهاراً ، ويرى الجميع بأعينهم ؟

رسول الله ﷺ وهو يركب الدابة التي أتى به بها
حزيريل - عليه السلام - وهي النراق ويشق بها عنان
اسماء ألم يكن هذا أقوى دلالة لمعجزة ، بحيث
يراهها الناس هي وصح ليلها كما رأى أناس إبراهيم
النار وهي لا تحرقه وكما رأى أناس موسى البحر وهو

ينشق ؟ ألم يكن الإسراء نهاراً هو تأكيد للمعجزة فلا يكذبها أحد ، ولا يشور حولها ذلك الجدل الذي ثار من ضعف الإيمان .

هذه واحدة .. أما الثانية .. فإذا كانت المعجزة منسوبة إلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - وقوته ، فلم أخذت ليلة أو جزءاً من الليلة ؟ ألم يكن الله - سبحانه وتعالى - قادراً على أن ينقل رسوله - عليه الصلاة والسلام - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظة أو أقل من لحظة ؟ ثم يعيده أيضاً في لحظة ؟

وكيف تأخذ المعجزة رمتاً ، وهي بقدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا زمن عنده ما دام الفعل من الله جل جلاله ؟ فهل يحتاج الله إلى وقت ليتم معجزته ؟

كل هذه الأسئلة طُرِحَتْ وقيلت من المستشرقين وكانوا يحسبون بذلك أنهم يهدمون المعجزة ، ولكن أسألهم هذه بيت نواحي الإعجاز في الإسراء والمعراج ، تلك النواحي التي ربما لم يكن أحد يتنبه لها لو أر هؤلاء المستشرقين لم يشككوا في الإسلام ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - يسخر عبده غير المؤمن لخدمة دين الحق وليعرف الناس دواعي لعظمة في هذا الدين

الفصل الثالث

لماذا كانت غيباً؟!



قبل أن نمضى فى حديث
الإسراء والمعراج .. فهناك سؤالان
هامان لا بد من الإجابة عليهما ..
السؤال الأول : لماذا تم الإسراء
ليلاً ؟ ولم يتم فى وضوح النهار ..
والسؤال الثانى لماذا أخذ الإسراء زمناً ؟ والله لا رمن
عنده .

حادثة الإسراء بدأت عندما كان رسول الله - عليه
الصلاة والسلام - نائماً فى الكعبة وقيل فى بيته
وقيل فى بيت أم هانئ وكل الروايات صحيحة ، لأن
رؤيا الأنبياء صادقة وتنبئت الأنبياء قبل المعجزات يأتى
من الله سبحانه وتعالى ، حتى لا يفاجأ الرسول
بالمعجزة .

فمثلاً موسى عليه السلام أراد الله - سبحانه وتعالى
- أن يرسله إلى فرعون ، والله - تبارك وتعالى - يعلم أن
موسى سيواجه سحرة فرعون ، لذلك أراد الحق جل
جلاله قبل أن يلقى موسى عصاه فتتحول إلى حية
تلقف حبال السحرة أراد الله - جل جلاله - أن يدرّب
موسى عليه السلام على هذه التجربة ، حتى إذا واجه
اسحرة وألقى عصاه فتحوّلت إلى حية لا ينزعج ولا
تأخذه المفاجأة فيخاف .

ولكن الله أراد لموسى أن يكون ثابتاً وقت المعجزة ،
وبذلك فإن الحق - سبحانه وتعالى - رحمه عليها فلما
كان موسى عائداً إلى مصر مع زوجته رأى نراً فذهب
ليأني بجدوة من النار ، يتغاف بها هو وزوجته ، لأن الليل
في شواء اصحراء يكون شديد البرودة ، وحيث كلفه
الحق سبحانه وتعالى - فمادام قال له : قال سبحانه
وتعالى ﴿ وما تذكّر بيمينك يا موسى ﴾ (١٠) قال هي
عصى. ﴿ (١٨) ﴾ [طه]

والسؤال هنا يثير الاستغراب في النفس والله سبحانه
وتعالى حينما يسأل موسى ﴿ وما تذكّر بيمينك يا موسى ﴾
﴿ (١٧) ﴾ [طه] هل لا يعرف الحق - جبر حلاله - أن ما في
يمين موسى هي عصا ؟ نعم يعرف ، ولكن هذا ليس هو
الهدف من السؤال إنما يهدف إلى أن يتأكد موسى يقيناً
أن ما في يمينه هي العصا ، حتى إذا تغيرت صورتها إلى
هيئة أخرى ، لا يهزه لحدث ، بل يتأكد من هذه معجزة
من الله ، وإذا رآه تحدث أمامه مرة ، ثبت في المرة
الثانية

ولذلك قال له الحق جل جلاله ،
﴿ قال ألقها يا موسى ﴾ (١٩) فألقها فإذا هي حية تسعى ﴿ (٢٠) ﴾ [طه]
فماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يمر موسى

بتحربة تحولُ العصا إلى حية حتى إذا وقع هذا أمام فرعون والسحرة ، فإن موسى لا يخاف وينزعج ، ولقد حاف موسى أثناء التحربة . محل الخوف إلى نفسه وهو يرى العصا تتحول إلى حية . فثبت الحق - سبحانه وتعالى - وفان .

﴿ قَدْ جَدَّهَا وَلَا تَحْفُ سَعِيدُهَا سِيرِنَهَا الْأُولَى ﴾ [طه]

وذلك حتى لا يخاف موسى أمام فرعون واسحره ويلتقط الحية وهو واثق أنها ستتحوّل مرة أخرى إلى عصا . بل إن التجربة تعدّت ذلك . إنها أحدث أكثر من شكل

واقراً قور الحق تبارك وتعالى ﴿ وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فِيمَا رَأَى تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا خَائِدٌ وَلَّى مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْبَ يَا مُوسَى أَقْبَلْ وَلَا تَحْفُ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [الفصلر] وهكذا نرى أن العصا خلال التجربة أخذت مرة شكل حية ومرة شكل جان . وأن موسى خاف . وجرى بعيداً من المفاجأة . وكان هذا أثناء التجربة ولكن عندما تمت المعجزة أمام السحرة وفرعون كان موسى ثابتاً . وهكذا فإن الحق - سبحانه وتعالى - في المعجزات يُثبت استباهه بتجربة تحدث قبل المعجزة

رؤيا الرسول تنحقق

ورسول الله ﷺ .. ألم يبشر بفتح مكة ؟ وأراه الله
- سبحانه وتعالى - فى رؤيا أخبر بها أصحابه وقرأ
قول الحق سبحانه وتعالى

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ لِرُؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ .. (٢٧)﴾ [الفتح]

وهكذا كانت الرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ وحدث
بها أصحابه أنهم سيدخلون المسجد الحرام إذن
فهناك شيء اسمه رؤيا الإيذس وهى أن يرى النسي
الشيء مناماً أو يقطة . حتى إذا ما أصبح حقيقة كان له
أُس به وإلف به ، وكان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا
حاضت كفلق الصبح ما يراه مناماً لا بد أن يتحقق
ويصبح واقعاً

فمن قال إن الإسراء رؤيا مامية بقول له إنها
رؤيا الإيذس أولاً ورؤيا التذكير بالدعوة ثانياً وواقع
الحادث ثالثاً .

وبذلك نخرج من كل الروايات المختلفة . حتى
الروايات التى تذكر أن رسول الله ﷺ أُسرى به من بيت
أم هانئ . والتى تقول إنه أُسرى به من بيته واتى
تقول إنه أُسرى به من المسجد الحرام نخرج منها

بنفس الفهم فقيد جليته الرؤيا بمسرة وهو عند أم هانئ وجاءته مرة وهو في بيته ومرة حقيقة واقعة وهو في المسجد الحرام فلا صارب بين الروايات المختلفة ولا بين رؤيا التثنية والإيثار ورؤيا الواقع وأم هانئ ابنة عمه رسول الله ﷺ وكان بيتها قريبا من الكعبة

ولكن الحقيقة أن رسول الله ﷺ قد أُسْرِىَ به من المسجد الحرام ، هذا هو سرء المافع وأن الإسراء تم بالروح والجسد ، وإن كن ذلك لا يمدح أن رسول الله ﷺ قد تعرض لحدث الإسراء منما وتعرض له روحا ، وتعرض له يفظه ووافعا على أن بعض الناس لا يزالون يجادلون في أن الإسراء لم يتم بالروح والحسد وهم يستحدمون في ذلك النص اقرأني الشريف في قوله تعالى

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [الإسراء: ٦٠] ويقولون ﴿ الرؤيا ﴾ لا تستخدم إلا لم يرى في المنام ، أما ما يرى في ليقضه ، فإننا نقول عنه « رؤيه » نقول إننا كسان المقصود هذا رؤيا مامية فكيف تكون فتنة للناس ؟ يُصدّقها بعضهم ويكذبها بعضهم لو كانت رؤيا

مدامية فلا يمكن أن يناقشها أحد تصديقاً أو تكديماً كما
 بينا ، ونحن لا يجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس
 ولكننا إن عدنا لغة عربية قبل أن يزر القرآن نجد
 أن كلمة ﴿ لرؤيا ﴾ وردت أيضاً للنصر وذكر كذلك
 في كثير من قصائد شعر لبحول الشعراء العرب
 والعرق لوحيدهم كانوا يستخدمون كلمة ﴿ الرؤيا ﴾
 في النصر عندما يتحدثون عن الأشياء العريبة لنى
 تشبه الحلم فإذا استخدمنا ﴿ رؤيا ﴾ بمعنى المشاهدة
 بالبصر فهذا لا يتم إلا إذا رأينا أمامنا أمراً عجيباً
 وإلا لو كانت الرؤيا مدامية ، ما كانت فتنة للناس ، فلا
 أحد يناقش الأحلام كذباً أو صدقاً ، ولا تكون الرؤيا أبداً
 فتنة .

وجاء جبريل ..

رسول الله ﷺ جاءه جبريل وهو نائم في الكعبة وأيقظه ثم أتى له نبي يأسراق وهو دابة بيضاء فوق إحمار ودور البغل فركبها حتى أتى بيت المقدس فربطت لدابة في الحلقة التي يربط بها الأنبياء دوابهم ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد . فصلى فيه إماماً بالأنبياء ، وعندما خرج أتاه حبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاختر اللبّن ، فقال حبريل أصبت الفطرة .

هنا يأتي السؤال الأول . وهو

لماذا وقعت حادثة الإسراء والمعراج ليلاً ؟ ما دام لإسراء قد حدث بقدره الله مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿سُحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ .. ١﴾ [الإسراء] إذن بالفعل منسوب لله تبارك وتعالى .

لماذا لم تقع المعجزة نهاراً ؟ لماذا لم يات الله - سبحانه وتعالى - بالبراق في صبح النهار .. ويستقله رسول الله ﷺ أمام الناس جميعاً ويصعد به إلى السماء أمامهم ، حتى لا يوجد من يكذب هذه الواقعة أو يجادل فيها ؟

معجزة غيبية .. لماذا ؟

معجزات الأنبياء حدثت كلها أمام أقوامهم ، فإبراهيم عليه السلام ألقى في النار وقومه يشاهدون ، وموسى عليه السلام أشفق له البحر أمام قومه وعيسى عليه السلام حدثت معجزاته وشاهدها اناس جميعاً . فلماذا لم تتم معجزة الإسراء بهذه الكيفية واختار الله أن تتم ليلاً وبنون أن يشهدوا أحد يقول إنك لم تفهم الحكمة من المعجزة فرسول الله ﷺ يأتيه الوحي بالقرآن الكريم خفية أي لا يشهد أحد خبريل عليه السلام وهو ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ

إن المسألة المطروحة هنا مسألة إيمانية أي إحبر بغيب وليست مسألة مشاهدة .. ورسول الله ﷺ له معجزات حسية كثيرة نضع الماء من بين أصابعه الشريفة وظلله الغمام ووضع يده في طعام قليل فكفى حيشاً بأكمله وطلب الكفر منه أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يشق لهم القمر فدعا الله واشق القمر كآية . وغير ذلك من المعجزات الحسية

فهل آمن الكفار عندما روا هذه المعجزات ؟ لم يؤمنوا

وقالوا ساحر سحر أعين الناس ، والله سبحانه وتعالى
يقول فى كتابه العزيز

﴿ وما معنا أن تُرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون .. ﴾

﴿ ٥٩ ﴾ [الإسراء]

وهكذا يرى أن الآيات الكونية لم تجعل الناس يؤمنون ،
بل أخذوا يفسرونها حسب أهوائهم فثمود قوم صالح
مثلاً طلبوا من نبيهم أن يخرج لهم من الصخرة ناقة ،
فلما استجاب بهم الله لم يؤمنوا وعقروها

وموسى عليه لسلام حينما اشق له البحر بعصاه ،
وعبره بنو إسرائيل ، وشاهدوا فرعون وحنوده وهم
يغرقون ، كان أول شئ فعلوه أنهم وحدوا قوماً بعد
العبور مباشرة ، يعبدون الأصنام فعبدوها

اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَحَازِنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ .. ﴾ [١٣٨] [الأعراف]

وهكذا نرى أن المعجزة التى تمت لبني إسرائيل بأن
شق الله - سبحانه وتعالى - لهم البحر ، وجعلهم
يعبرون ، معجزة كبرى تمت أمام أعينهم ، ومع ذلك
لم يمض إلا وقت قصير لا يزيد على ساعة أو ساعات ،

وإذا بهم ينسون الله الذي خلقهم المعجزة الكبرى .
وأنجاهم من فرعون وجنوده . يسعون الله ويطلبون من
موسى أن يجعل لهم أحصاءاً بعيسويها . إذن المعجزات
التي خُصَّ بها الله - سبحانه وتعالى - أنبياءه لم تجعل إلا
قليلاً من الناس يؤمنون

ولذلك عندما طلب الكفار من رسول الله ﷺ معجزات
حدوها ، لم يحقق لهم الله ، لأن تاريخ البشرية ومن
سبقهم كذبوا بالمعجزات الحسية رغم أنهم رأوها ، كما
أن المعجزات الحسية مقصود بها الذين رأوها ، فمن
لم يرهاً غير مطالب بها ولا هو مقصود بها

ولكن الحق - سبحانه وتعالى - أراد أن تكون معجزة
الإسراء . دليلاً إيمانياً يبقى إلى يوم القيامة ، لأن رسالة
رسول الله ﷺ باقية إلى يوم القيامة ، فجعلها غيباً عليه
دليل مادي .. حتى تناقش بالعقل ، وتكون مدحلاً
للإيمان ، لأن الإيمان ليست أداته الرؤية ، فليس بعد
العين أين . ولكنه يتم بالدليل العقلي ، على أن ما هو
غيب حدث فعلاً .

ووجود الشيء مختلف عن إدراك وجوده ، وذلك
واضح بالدليل العقلي ، فنحن مثلاً لم نر الجراثيم إلا

حديثاً ، ولكنها كانت موحودة منذ بداية الخلق وعدم
علمنا بها لم يبطل مهمتها في الكون .
ومن هذا السير العقلي وغيره من الأدلة عن أشياء
كانت موحودة في الكون ، ثم كشفها الله لنا بعرفها
مثل خصائص الغلاف الجوي أو الكواكب التي نكتشف
منها المزيد مع مرور الزمن أو غير ذلك ، من هذا أقمنا
الدليل العقلي على أن ما هو عيب عنا موجود وإن لم
ندركه .

المعجزة .. ودليل العقل

الحق - سبحانه وتعالى - يريد أن يعطينا - بمعجزة الإسراء - دليلاً على أن رسول الله ﷺ صادق فيما يبلغنا به من منهج يوحى إليه من السماء ، وبذلك كانت المعجزة عيماً وقام عليها الدليل العقلي ، فلو أن المعجزة تمت نهاراً ورأى الناس رسول الله ﷺ وهو يصعد إلى اسماء على البرق . لقلوا إنما سحرت أبصارنا

وقرأ قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ قَرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الْكُفْرُ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)﴾ [الأنعام]

وهكذا يلفتنا الحق - سبحانه وتعالى - إلى أنه لو أنزل صحيفة من السماء ، فلمسها الناس بأيديهم . لقالوا إنها سحر وليست حقيقة ، فهذا هو السوك البشري ، والله أعلم بخلقهم

وبذلك لم تكن المعجزة الحسية تعيد في أن يصدقوا أن رسول الله ﷺ قد أسرى به ، ولكن الذي يبقى هو أن تكون المعجزة غيباً وعليها دليل عقلي .. لتؤكد صدق رسول الله ﷺ فيما يوحى إليه

وهذا ما حدث . المعجزة تمت عيماً ، ولكن عليها أكثر من دليل عقلي ، فلما أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بما

حدث كار أول ما قالوه نحر مصرب إليها أكباد الإبل شهراً وأنت تدعى أنك أتيتها في ليلة واحدة . أي . أن الرحلة بين مكة وبيت المقدس كانت تستغرق منهم شهراً كاملاً . ورسول الله ﷺ يقول إنه ذهب وعاد في ليلة واحدة

وكان الرد العقلي على ذلك أن الله هو الذي أسرى برسوله . ومحمد عليه الصلاة والسلام . لم يدع أنه هو الذي أسرى نفسه ، إذن القدرة هنا منسوبة لله جل جلاله .

والدليل العقلي الثاني أنهم قالوا لرسول الله ﷺ صف لنا المسجد الأقصى وقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، فأخبرني كيف بناؤه وهيئته ؟ فرفع الله - سبحانه وتعالى - المسجد الأقصى إلى رسول الله ﷺ فقال بناؤه كذا وكذا وأخذ يصفه وصفاً دقيقاً أذهل الحاضرين

وهناك وقعة ، هو كانت قريش تعلم أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قد سافر إلى بيت المقدس ، ولو مرة واحدة ما سألوه هذا السؤال ولكنهم كانوا على يقين ، أنه لم يذهب إلى المسجد الأقصى في حياته ولكنهم طلبوا أن يصفه لهم كنوع من التعجيز ،

وقالت له قريش صف أنت ماذا رأيت في الطريق . فقال نبي مررت بقافلة لكم في مكان كذا ، وأن جملاً قد صل منهم ، وأن القافلة يتقدمها جمل لونه أسود ، وأنها ستصل إلى مكة في شروق يوم كذا ، فحرحوا ينتظرون وصول القافلة ، ليعرفوا إذا كان رسول الله ﷺ قد صدقهم القول أم لا . انتظروا طول الليل حتى أشرقت الشمس ، فصاح أحدهم الشمس أشرقت ورد عليه آخر والقافلة وصلت وكان يتقدمها الحمل الأسود الذي وصفه لهم رسول الله ﷺ .

الذين ارتدوا ..

كل هذه كانت أدلة مادية عقلية على أن المعجزة قد حدثت ، وأن رسول الله ﷺ قد أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وقد فتر بعض المسلمين ولم يُصدّقوا وانطلقوا إلى أبي بكر - رضى الله عنه - وقالوا له إن صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة فقال أبو بكر أو قال هنا ؟ قالوا نعم قال أبو بكر ما دام قال فقد صدق .

وعندما أبدى المسلمون دهشتهم قال أبو بكر - رضى الله عنه أنُصدّقه في حبر السماء ونُكذّبه في هذا ؟ وكان هذا القول من أبي بكر هو توصيح لحكمة الإسراء ، ذلك أن رسول الله ﷺ الذي يأتيهم بالقرآن ، الذي ينزل به جبريل عليه وادّوحى غيب عنهم ، كان يجب أن يُصدّقوه في معجزة غيبية حدثت له ، أقام عليها الدليل العقلي والمادى فيعرفون أنه صادق وأن رسالته هي رسالة الحق .

وهذا يبين لنا لماذا كانت معجزة الإسراء غيباً عن الناس ؟ وماذا لم تحدث في وضع النهار ؟ وكان المفروض بعد هذه الأدلة المادية لتي قدمها رسول

الله ﷺ لتؤكد أنه أسرى به ، كان المفروض لكل إنسان
له عقل أن يزداد إيماناً برسالة محمد عليه الصلاة
والسلام .

ولكن الدين ارتدوا بعد إسلامهم عندما أخبرهم رسول
الله - عليه الصلاة والسلام - بما حدث كابوا ضعاف
الإيمان والله - سبحانه وتعالى - لم يكن يريد في أول
الدعوة أن يحملها ضعاف الإيمان ، بل كان حراً حلاله
يريد رجالاً أقوياء الإيمان يحمون دينه إلى الدنيا كلها ،
لا يهتزون أمام القرف الدنيوي ، الذي سيقابونه في
أرض ستفتح لهم كفارس والروم ، ولكي يكون الإيمان
في قلوبهم أكبر مما تستطيع الدنيا كلها أن تعطيه

وحققت المعجزة هدفين

وهكذا حققت المعجزة هدفين ، أقامت لدليل العقلى والمدى على أن كل ما يخبرنا رسول الله ﷺ عنه ، هو صدق ولو كان غيباً عما ، وخلصت الإسلام من ضعفاء الإيمان ، الذين لو كانوا قد استمروا على إسلامهم لأصيبوا هذا الدين بالضرر البليغ ولم ينفعوه بشيء

بقى بعد ذلك السؤال الثانى وهو الله سبحانه وتعالى لا زمن عنده ، فلماذا استغرقت معجزة الإسراء زمناً ؟ ألم يكن الحق جراً جلاله قادراً على أن يُسرّى برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى لحظة نقول إنه جل جلاله كان قادراً على ذلك ، ولكن لا بد أن نفهم أن لكل خلق من خلق الله قانوناً ، وكل خلق من خلقه ما يدخل فى قانونه .

فالبشر لهم قوانين تختلف عن قوانين الجار ، فالجر مثلاً لأنه مخلوق من نار يستطيع أن يتحرك أسرع ، ويستطيع أن يتشكل بأشكال مختلفة ولكن الله - سبحانه وتعالى - رحمة بنا قد جعل كل من ينشك بقانون يحكمه هذا القانون

ولذلك إذا تشكل الجار فى صورة إنسان وأطاعت عليه الرصاص قتل ، لأنه خضع لقانون البشر الذى يشكل

به وكذلك لملائكة ، وكل خلق الله . بهم قوانيهم
الخاصة

رسول الله ﷺ كان لا بد أن يقيم الدليل المادي
والعقلى على أنه قد أُسرى به ، ولذلك كان لا بد أن يرى
أشياء وأحداثاً تخضع لقوانين اسشر ، ليأبى وبرويها
لأهل مكة ، كسبيل على صدق معجزة ، وأحداث لبشر
نحتاج إلى زمن . فكل حدث بشرى حسب قوانين خلق
الله للإنسان محتاجة إلى زمن . فحين نصيعة فابوب
البشرى لا يستطيع أن يفعل شيئاً فى لا زمن ، بل لا بد
لكل حدث من زمن

ولذلك اقتضت بشرية الأحداث التى سيراها رسول
الله ﷺ فى الطريق بين مكة وبين بيت المقدس ، أن يتم
الإسراء فى زمن . وأر يستغرق وقتاً ، ولو أن الحق -
سبحانه وتعالى - لم يرد من رسوله ﷺ أن يقيم الدليل
المادى والعقلى على صدق معجزة الإسراء ، لتسببت
المعجزة فى لا زمن ، ولكن لأنه جل جلاله . أراد أن
يعطى رسوله ﷺ للناس الدليل المادى والعقلى على صدق
المعجزة ، جعل المعجزة تتم فى ليلة ، لتستوعب الأحداث
البشرية فيها ، وكان هذا الوقت الذى استغرقه الإسراء .
هو من تمام المعجزة وكمالها .

الفصل الرابع

من مكة

إلى

بيت المقدس



تحدثنا عن الإسراء وكيف أنه
 تم بالروح والجسد ، وأن الله -
 سبحانه وتعالى قال ﴿ أُسْرَى بِعَبْدِهِ
 .. ﴾ [الإسراء] ، لأن الأنبياء
 جاءوا ليعلموا البشر العبودية لله ،
 التي هي أسمى مراتب الإيمان ثم تحدثنا عن المعجزة ،
 وكيف أن إسرائ رسول الله ﷺ استغرق زمناً وكيف أنه
 تم ليلاً ، وما هي الحكمة في ذلك ؟

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
 مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا .. ﴾ [الإسراء]
 حذر الحق - حل حلاله - من أين بدأ الإسراء وإلى
 أين انتهى ، والمسجد الحرام هو مكان الكعبة المشرفة
 وهو أول مسجد وُضع للناس في الأرض منذ بداية
 الخلق اختار الحق سبحانه وتعالى - مكاناً في الأرض
 هو مسجده مصداقاً لقوله حر جلاله

﴿ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٌ وَهُدًى
 لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩)

فكأن البيت الحرام كان موجوداً في الأرض من قبل
 أن تطأها قدم بشر والناس يعتقدون أن البيت الحرام

هو الكعبة المشرفة نقول إن هناك فرقاً بين مكان البيت والعلامة الدالة على المكان أو كما يقولون المكين ، فمكان البيت هو هذه البقعة المباركة في مكة المكرمة ، وليس المكان هو بقعة سطح لأرض فقط ، بل إن كل ما فوق البيت إلى السموات هو تابع للبيت

ولذلك نحدد أن بعض الناس الذين يذهبون للحج يصلون في الطابق الثاني مثلاً ، وهو أعلى من مستوى ارتفاع بناء الكعبة المشرفة ، نقول إن صلاتهم صحيحة ، لأن البيت يمتد إلى السماوات ، ولذلك فإن ما على ابيت هو من البيت ، وفي نفس الوقت فإن ما هو تحت البيت ممتد إلى باطن الأرض ، هو من البيت أيضاً ذلك أن جو المسجد هو من المسجد ، والملائكة والرحمات تنزل على المصلين ، ولذلك عندما نجد في بعض المساحد مكائاً مخصصاً لسيدات في الدور الثاني ، مع أن الإمام يقف في الدور الأول أى أن المصليات يعلنون الإمام نقول إن صلاتهم صحيحة .

وقد تحدثت عن المساجد الموجودة في أسفل العمارات وقلت إنها لا تعتبر مساحد إلا في حالات الضرورة .

بذلك رجعوا مسجداً في هذه الحالة فوجد فيه
الحائضين ووجد فيه أديراً لم يصهروا وهؤلاء يمشون
بروزاً للملائكة ، رحمتهم ، لا يمتحنون أي حو طهر
وبذلك يغيب من ساحر شهر العمارات أماكن صلاة
لجماعة ولا تغيب مسجداً إلا في حالات الضرورة

معنى المسجد الحرام

المسجد الحرام أو البيت الحرام - هو المسجد الوحيد الذى يوحد فى الأرض باختيار الله سبحانه وتعالى لمكانه . أم المساجد الأخرى الموحودة فى الأرض فهى مساجد باختيار خلق لله لأماكنها . ولعل جعل المسجد الحرام الذى شرفه الله باختياره قبله لكل مساجد الأرض ، التى قامت باختيار خلق الله لأماكنها .

والمسجد يُطلق على مكان السجود وكل مكان تسجد فيه هو مسجد لك . ولعلك قد رسول الله ﷺ « وجُعِلَت لى الأرض مسجداً وطهوراً » أى أنه تصح الصلاة للمسلم فى أى بقعة فى الأرض

المسجد الحرام وُجد قبل أن ينزل دم إى الأرض وهيل إيه فى عهد نوح حين أهت الله - سبحانه وتعالى - أهل الأرض الكفر بالطوفان ، صمست المياه العلامة التى يتعرف بها الناس على مكان البيت ولكن البيت نفسه باق كنقعة مبركة من الأرض

وعندما جاء إبراهيم - عليه السلام - أمره الله - سبحانه وتعالى - أن يقيم القواعد من البيت أى يقيم العلامات التى يتعرف بها الناس على مكان البيت

ولكن هل كان إبراهيم يعرف المكان ؟ رغم أن الطوفان

قد أزال العلامات الدالة على المكان لم يكن إبراهيم - عليه السلام - يعرف المكان ، ولذلك بيّنه الله له ، وأرشده إلى مكانه .

وفى ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ۚ﴾ (٢٦)

وهكذا دلّ الله - سبحانه وتعالى - إبراهيم على مكان البيت ، وأمره بأن يأخذ زوجته هاجر وابنهما إسماعيل ، وينركهما فى مكان البيت ليقوما هناك ، وفجر لهما بئر زمزم لتوجد الحياة حور البيت ، فلا تصيع معالمه بعد ذلك ، وأمر الله إبراهيم وابنه إسماعيل ، أن يقيما القواعد من البيت ، كعلامة ليعرف الناس مكان بيت الله الحرام ، فأقاما بناء الكعبة المشرفة وحفظها الله - تبارك وتعالى - إلى يومنا هذا ، لتبقى دليلاً لكل خنقه على بيت الله الحرام .

السجود والإنسان

علي أننا نلاحظ أن الحق جل جلاله قار
﴿سبحان الذي أسرى بَعْدَهُ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا .. (١)﴾ [الإسراء]

والمسجد هو مكان السجود كما بينا . ولصلاة التي
نعرفها لم تُفرض إلا بعد الإسراء والمعراج . فكيف يأتي
القرآن الكريم بوصف المسجد ، وهو مكان اسجود
بالنسبة للمسجد الحرام ، وبالنسبة لمسجد الأقصى ؟ مع
أن الصلاة كما نعرفها لم تُكْرُ تُقام في المسجد الأقصى
الذي أخذ هذا الاسم من أنه كن أقصى مكان وصل إليه
العرب في رحلاتهم وتحارتهم قبل الإسلام

نقول الإنسان سجد لله - سبحانه وتعالى - منذ نزل
على الأرض . وأن السجود لله في الأمم السابقة ، وإن
كان يختلف عن الطريقة التي سجد بها نحن ، فإنه كان
موحوداً

وإذا قرأنا قول الحق - سبحانه وتعالى - لإبراهيم عليه
السلام ﴿وطهر بيتي للطائفين وراقائمين والركع السجود
(٢١)﴾ [الحج]

نعرف أنه كن هناك سجود لله - سبحانه وتعالى - في
عصر إبراهيم ، وقبل عصر إبراهيم ، ومنذ نزل منهج
السما إلى الأرض شرع اسجود ، ونجد أنه كان في

اليهودية سجود مصداقاً لقوله - تبارك وتعالى - لبنى إسرائيل .

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ دَخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا .. ﴾ (١٥٤) [النساء]

وهكذا يرى أن السجود كان مفروضاً في اليهودية . وكذلك كان في النصرانية . مصداقاً لقول الحق جل جلاله ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣) [آل عمران]

إنّ السجود لله - سبحانه وتعالى - شرع بالنسبة للإنسان منذ خلقه الله سبحانه وتعالى

على أننا إذا تحدثنا عن كلمة مسجد ، فلا بد أن نفرق بين الأماكن التي تُخصّص للعبادة فقط ، والأماكن التي تصلح فيها العبادة مع حركة الحياة

لقد اتفق على أن يسمى كل مكان يُخصّص للعبادة مسجداً . وإن كانت الأرض كلها مسجداً صهراً لأمة رسول الله ﷺ إلا أن هناك فرقاً . بين أرض تُخصّص للعبادة فقط ، وأرض تصلح لحركة الحياة

المصنوع فيه حركة الحياة ، وعندما يحين وقت الصلاة يباح لك أن تصلي فيه ، والأرض المزروعة فيها حركة الحياة وتصلح للصلاة . ولكن إذا جئنا وميّرنا وحدنا

بأن هذا المكان مسجد . يصبح مقصوداً على الصلاة والعبادة فقط . وأى شيء غير العبادة لا يجب أن يتم فيه .

ولذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذي جاء يبحث عن جملة الضال في المسجد « لا رد الله عليك ضالتك » . وقال للذي حضر إلى المسجد ليعقد صفقة تجارية « لا بارك الله لك في صفقتك » لماذا ؟

لأن المسجد مخصص لعبادة الله ، فأياك أن تشغل نفسك بأمور الدنيا فيه ، إن معنى أن الأرض كلها مسجد ، أنها تصح فيها الصلاة وتصح فيها حركة الحياة ، ولكن المكان الذي خُصَّ ليكون مسجداً ، لا تصح فيه حركة الحياة .

ولذلك ، فالمساجد تحت العمارات لا يتوافر فيها هذا لشرط . لأنه يوجد في جو المسجد - وجو المسجد كما بينا مسجد - نقول يوجد في جو المسجد حركة حياة ، ويوجد فيه الجُنب والحائض والرجل الذي يأتي أهله إذن : لم تعد سماءه مسجداً

وقبل أن يتعلم المسلمون الطيران كان يحرم على الطيار الأمريكى غير المسلم أن يطير في جو مكة ، لأن جو الحرم هو من الحرم ، ولا يجوز لغير المسلم أن يدخل الحرم

ما هي البركة ؟

رحلة الإسراء كانت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وقصى يعنى بعيد وأقصى يعنى أبعد وكما قلنا إن المسجد الأقصى كان أبعد مكان تصل إليه القوافل قبل الإسلام .

وإذا أكملنا الآية الكريمة نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء]

ما هي البركة ، البركة هي أن يعطى الشيء أكثر مما هو متوقع له ، فمثلاً إذا أتينا بطعام يكفى ثلاثة أشخاص ، واجتمع حول المائدة عشرة أشخاص ، وأكلوا وشبعوا نقول إن هذا الطعام فيه بركة ، لأنه كان متوقعاً أن يكفى ثلاثة أشخاص ولكنه كفى عشرة ، وكذلك كل شيء يعطى أكثر مما هو متوقع له المال القليل إذا كفأك فترة طويلة يكون فيه بركة ، والثوب إذا ظل مسعك سنوات وسنوات ، دون أن يبلى يكون فيه بركة ، والبركة مادية دنيوية ، أو روحية دينية ، البركة التي ينتفع بها المؤمن والكافر دنيوية فقط ، أما البركة الدينية فلا ينتفع بها إلا المؤمن .

وفي ذلك يلفتنا الحق - تبارك وتعالى - هي قوله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هي بلديس تموء في نحياء الله حادثة يوم القيامة كذلك نقص
الآيات هوم يعلمون ﴿١٣٠﴾ [اعرف]

هذه الآية الكريمة تلفت إلى نعم الله سبحانه
ونعاني - في اسبب هي للمؤمن والكافر ، ما في الآخرة
فهي للمؤمنين وحدهم

المؤمن والكافر في احبته سبي يشرب لماء اعب
اشار يطعني طمأه ، أم في الآخرة فإن الكافر إذا طلب
الماء جاءوا له بماء يعلى ، ومن شدة غليانه فإن محرد
اقتراپ كوب الماء من وجهه يشوى وجهه فإن شربه
فإن الماء يعلى في بصره

والذي فيها صعام محتك أنوات للمؤمن والكافر ، كل
يحت حسب ما يشهى وحسب لروق الميسر له فإذا
جاءت الآخرة كان للكافر صعم من صريع مئة بالشوك
لا يسد جوعه ، ولكنه يقطع أمعاءه

ولمؤمن والكافر في الدنيا ينمعان بالثياب ، كل حسب
قدراته ، هذا يلبس حريراً ، وهذا يلبس صوفاً ، وهذا
يلبس قطناً فإذا جاءت الآخرة وطلب الكافر الثياب فثيابه
من نار تشوى حسده

وكل مء في الدنيا يذهب إلى فراشه سداً ليستريح
وينام على فراش من قطن أو من ريش أو غير ذلك
كل حسب مقدرته فإذا جاءت الآخرة كان للكافر فرش

من بار من خوفه ومن محبه . لا نحبهه بنام أبدأ
وهو معنى لآيه الكريمة التي تبين لنا أن السعم في الدنيا
للمؤمنين والكفار ، أما في الآخرة فهي للمؤمن وحده
إن البركة الدنيوية ينتفع بها المؤمن والكافر لأنها
عطاء ربوبية من الله رب العالمين . الذي خلق البشر
كلهم ، واستدعاهم لكوته ، وكفل لهم رزاقهم ، ولذلك
فهو يعطيهم من كل الخير أياً كانت صورته ، دون تفرقة
بين مؤمن وكافر

وهناك بركة دينية يختص بها الله عباده المؤمنين فقط
المسجد الأقصى جعل الله - سبحانه وتعالى - حوله
بركة دنيوية ، وبركة دينية ، لأنه شهد رسل الله كلهم
إبراهيم . وإسحق ويعقوب وزكريا ويحيى
وموسى وعيسى ، وهو مهبط الوحي على كل هؤلاء .
ومن هنا كانت فيه بركة دينية

ومعنى قول الحق ﴿إِنَّا بَارَكْنَا حَوْلَهُ .. (١)﴾
[إسراء] أي أوجدنا حوله بركتين بركة مادية فيما
تُعطي الأرض ، وفيما يأتي إليه من ثمرات ، وبركة دينية
خاصة بالقيم ، التي أنزلت من السماء ومن اتبعها أخذ
بركة الآخرة وكانت له نعم في الآخرة لا تُعد
ولا تُحصى ، فكان الكافر يأخذ بركة الدنيا ، والمؤمن
يأخذ بركتي الدنيا والآخرة

ورأى الرسول آيات

وإذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى

﴿لِيرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء]

نجد أن الحق - سبحانه وتعالى - قد حدد مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس - وهي أن يرى رسول الله ﷺ من آيات ربه - وكلمة الآيات لا تقبل على كل شيء موجود ، وإنما تقبل على الموجود لعجيب فيقال هذا آية في الجمر أو آية في الذكاء أى جماله مبدع أو ذكاؤه مفرط والآيات أطلقت على عدة إطلاقات . فهناك آيات الكون التى يراها المؤمن والكافر ، مثل قول الحق سبحانه وتعالى

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .. (٣٧)﴾ [فصلت]

وتطلق الآية أيضاً على المعجزات التى يحرق الله - سبحانه وتعالى - بها قوانين الكون لانبيائه ، لإثبات صدق بلاغهم عن الله ، وتطلق على آيات القرآن الكريم الآيات التى رآها رسول الله ﷺ قسماً آيات أرضية ، وهى تلك التى شاهدها خلال معجزة الإسراء ، وهى ما تحدثنا عنه ورؤية رسول الله ﷺ بهذه الأشياء وهو بقطع هذه الرحلة فوق البراق بين السماء والأرض هى من آيات الله . أن يريه كل هذا بهذه الدقة وهو بعيد عن الأرض

ولكن هناك آيات أخرى من آيات الله سبحانه وتعالى ..
عجائب لم يرها أحد .. إلا رسول الله ﷺ الذي تجاوز -
عليه الصلاة والسلام - في رؤيته لآيات الله منزله أقرب
الملائكة إلى الله ، وهو جبريل عليه السلام ، وهذا
ما سنتحدث عنه في الفصول القادمة .

إذن فهدف الإسراء والمعراج هو أن يرى الله جل
جلاله رسوله ﷺ من الآيات ما يُذهب عنه الضيق
والحزن ، الذي أصابه - عليه الصلاة والسلام - من
جحود أهل الأرض وإيذائهم وعنادهم ، ويؤكد له أن
السماء مملوكتها الوسع وآياتها العجيبة - تحتفى به

وقول الحق - سبحانه وتعالى

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾

[الإسراء]

والسميع هو مَنْ يدرك الكلام والبصير هو مَنْ يدرك
الأفعال والمرائى والله - جل جلاله - سميع لأقوال
رسوله ﷺ .. بصير بأفعاله سميع لأقوال خصوم
رسول الله ﷺ .. بصير بأفعالهم .

الله - عز وجل - يسمع ويرى القوم يكذبون محمداً
عليه الصلاة والسلام ويؤذونه بفاحش القول والكلام ،
وبصير بما فعلوه ، حين قذفوه بالحجارة وأدبوا قدميه
الشريقتين وسميع وبصير برسوله الكريم .. وهو

يناجيه ، إلى مَنْ تكلنى) وهو يقول (إِنْ لَمْ يَكُنْ
بك غضب علىّ فلا أبالى) .

ولذلك كانت استجابة السماء ليعرف ارسور الكريم
أن كل ما يلقاه من كفر أهل الأرض وعندهم ليس غضباً
عليه من الحق - سبحانه وتعالى - ولكن لأن محمداً -
عليه الصلاة والسلام - من أولى العزم من الرسر ، وأراد
الله - سبحانه وتعالى - أن يؤكد برسوله ﷺ بالغ رضاه
عنه ، فأراه من آيات السماء ما عرف منه مدى رضاء الله
عنه - عليه الصلاة والسلام - ومدى حبه له

صلاة الرسول بالأنبياء

وكانت الآية الأولى أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - صلى إماماً بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس وكانت هناك أكثر من وقفة للمشككين في هذا الدين ، كيف يصلي رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - بالأنبياء وهم موتى وهو حي ؟ نقول إن الدين يثيرون هذا الكلام بسو بداية الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعِيسَىٰ ۖ﴾ [الإسراء]

وأرادوا أن ينسبوا الأحداث لا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن إلى بشرية رسول الله ﷺ ، والقرآن الكريم لم يقل هذا ، ولم ينسب الفعل إلى بشرية رسول الله ، وإنما نسب المعجزة كلها إلى قدرة الله جل جلاله ورسول الله ﷺ لم يقل سَرَبْتُ ولم ينسب الأفعال إلى نفسه ، وإنما نسبها إلى قدرة الحق جل جلاله وقال « أُسْرَىٰ بِي » وإذا كنا نريد أن نناقش المسألة عقلاً ومنطقاً ، أَلَمْ يُعْطِ الله - سبحانه وتعالى - إلى عبد من عباده ورسول من رسله هو عيسى عليه السلام أَلَمْ يُعْطِهِ القدرة على إحياء الموتى ، وعلى أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً تدب فيه الحياة بإذن الله .. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ صِيراً

يَاذُنِ اللَّهِ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأُتْرُسَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَاذُنِ اللَّهِ ..
(١٩) ﴿[آل عمران]

ألم ير الله - جل جلاله - عبداً من عباده . وهو
إبراهيم عليه السلام كيف يحيى الموتى .. مصداقاً لقوله
عز وجل :

﴿قُلْ فَحَدِّثْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ
مِّنْهُنَّ جَبْرًا ثُمَّ دَعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٢٦) ﴿[البقرة]

فإذا كان الله - تبارك وتعالى - قد أعطى بإذنه لعبدين
من عباده هذه القدرة فما بالك إذا كان الفعل مباشراً من
الحق - جر جلاله - ولم يكن بواسطة عبد من عباده ، ألا
تكون القدرة أكبر ؟ والإعجاز أعلى ؟

وكما قلنا إن الذى يحكم ما يره أى خَلَقَ من خلق
الله والقانون الذى يخضع له هذا الخَلْق ، وسواء غيَّرَ الله
- سبحانه وتعالى - قانون بشرية رسوله ﷺ ، ليصلى
بالأنبياء .. أو يكون غيَّرَ قانون برزخية الأنبياء ليصلى
بهم رسول الله ﷺ ، فالله - جل جلاله - قادر على
الفعلين .

ولذلك ، فإن رسول الله ﷺ صلى إماماً بالأنبياء ،
وتمت هذه الصلاة بالکیفیه التي أرادها الله - سبحانه

وتعالى - وبالصورة اى قدرها جل جلاله
 وإذا قال فمثل كيف صلى رسول الله عليه الصلاة
 والسلام - بأسيء ولم تَكُنْ الصلاة المكتوبة فى
 الإسلام قد فرضت بقور إن الله - تبارك وتعالى -
 قىاس على أن يوحى لانبياؤه بالصورة التى تتم عليها
 الصلاة . كما يريدونها سبحانه وكما يتقنها تبارك وتعالى
 لى هنا وينهى الإسراء لىبدأ المعراج
 والأحاديث التى وردت فى إثبات سعة الإسراء كثيرة
 بلغت انعشرين حديثاً أو أكثر ، لكلام لذى قيل عنها
 كثير بعضهم قال إنها بالروح وبعضهم قال
 بالروح والجسد وبعضهم قال رؤيا منام وبعضهم
 قال واقع يقصة
 وقد بينا بالأدلة كيف أن الإسراء يفظة بالروح
 والجسد . ثم بدأ المعراج وعرج رسول الله ﷺ إلى
 السماوات . حتى بلغ سكرة المنتهى . وفرضت الصلاة
 التى تمت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى لرسوله
 عليه الصلاة والسلام ، ولعبست بواسطة الوحى
 ماذا رأى رسول الله فى السماوات ؟ وكيف عرج
 إليها ؟ وكيف كان فرض الصلاة ؟ وما هى الآية الكبرى
 التى رآها الرسول الكريم فى المعراج ؟

الفصل الخامس

آيات السماء



قبل أن تبدأ فى الحديث عن
المعراج . وصعود رسول الله ﷺ
إلى السماء السابعة وإلى سدرة
المنتهى .. وما رآه - عليه الصلاة
والسلام - فى ملكوت السموات ،
لا بُدَّ من وقفة تُقَرِّب هذا كله إلى العقل ، ذلك أن المعراج
هو فوق طاقة وقدرات العقل البشرى ، ومن رحمة الله -
سبحانه وبعالي - أنه أعطانا أشياء حسية تُقَرِّب الغيب إلى
عقولنا ، ونرد على كل كافر منكر .

كل خُلُق من خلق الله سبحانه ونعالي ، له قانون
يتحكم فيه ، والقانون يتغير بتغير الخُلُق ، أو بتغير حالة
المخلوق ، فهناك مَنْ له أكثر من قانون كل قانون
ينطبق عليه فى مرحلة من مراحل حياته

فالبشر مثلاً لهم قانون يحكمهم ، مناسب لطبيعتهم
البشرية ، والجان لهم قانون يحكمهم ، مناسب لأنهم
خُلِقوا من نار ، فمادتهم التى خُلِقوا منها - وهى النار -
شفافة أكثر من الطين .

ولذلك فإن لهم قانوناً يختلف عن قانون البشر ، إنهم
أكثر سرعة فى الحركة ، وأكثر قدرة على اختراق الجدران
والأبنية ، والانتقال من مكان إلى آخر ، ولهم قدرة على

التشكُّل ، ويروُن ما لا نرى إذن هم أكثر قدرة منَّا طبقاً لقوانين خَلَقهم

والملائكة خَلَقُوا من نور ، وهم قوانين أقوى من قوانين الحان ، وقدرة على الصعود إلى السماء والنزول منها ، وهم يروُن ما لا نرى ولا ترى الحان

إذن لكل مخلوق من مخلوقات الله - سبحانه وتعالى - قوانينه ، التي تختلف عن قوانين غيره من المخلوقات ، والتي تحكمه فلا يخرج من إطارها إلا بإذن الله

وإذا أردنا أن نعرف ذلك ، فلنرجع إلى قصة سليمان حين أراد إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ ، قبل أن تصل الملكة إلى مجلسه وكانت بلقيس ملكة سبأ ، قد غادرت مملكتها في طريقها إلى سليمان .

يروى لنا القرآن الكريم هذه القصة فيقول

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٢٨)

[المل]

مَنْ هم الملا الذين كان يخاطبهم سليمان ، ويطلب منهم أن يأتوه بعرش ملكة سبأ ؟ الله - سبحانه وتعالى - يذكر لنا بعضاً منهم . في قوله عز وجل :

﴿ وَخَشَرِ لِسُلَيْمَانَ جُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

﴿ (١٧) ﴾

[المل]

إذن عرفنا من هذه الآية الكريمة أن جنود سليمان
من الجن والإنس وغيرهم .
هل عندما تكلم سليمان ، وطلب إحضار عرش ملكة
سبأ ، قام إنسان وقار أنا سأحضره ، هل قام إنسان
يمتاز بقوة شديدة وخفة في الحركة وقال سأحضره
لك لا سكت الإنس جميعاً ، حتى أقوى إنسان
موجود في مجلس سليمان .. لم يجرؤ على أن يفتح
فمه ، لأنه يعرف أنه عاجز عن أن يأتي بعرش بلقيس ،
لأن قوانين مادته تحكمه ، فهو غير كفء لهذه العملية

الأدنى والأعلى

لقد سكت الإنس جميعاً ، لأن هذا الطلب فوق قدرة قوايينه ، هل تكلم الجن على إطلاقهم ؟ لا . سكت الجن الضعيف ، والذي تكلم هو عفريت من الجن - أى من أقوى الجان وأقدرهم - ماذا قال العفريت ؟

يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (٣٩)

[المل]

وكيف تصدّى عفريت الجن لذلك ؟ لأن قوايينه تتيح له أن يسبق البشر ، فهو يستطيع أن يذهب إلى قصر ملكة سبأ ، ويحضر العرش قبل أن تصل الملكة إلى مكان سليمان ، وهو بحكم قوايينه أقوى وأقدر ، وحدد امدة بأنها قبل أن يقوم سليمان من مجلسه

وكم يستغرق مجلس سليمان ؟ ساعة أو ساعتين أو نصف يوم أو أكثر أو أقل ، امهم أن عفريت الجن فى هذه المدة المحدودة سيأتى بعرش ملكة سبأ إلى مجلس سليمان .

وهنا برز تحدُّ آخر من الذى عنده علم من الكتاب . إنسان أعطاه الله سبحانه وتعالى - وهو الأدنى فى قوايينه - خصوصية تجعله أقدر من الأعلى قانوناً .. وذلك حتى

نعرف أن القوانين لا تحكم إرادة الحق - سبحانه
وتعالى - ولكن إرادته لحق حر جلاله - وهو خالق هذه
القوانين - تستطيع أن تبطل قانون الأدنى بحكم خلقه ،
تجعله يتفوق على الأعلى بحكم الخلق أيضاً

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى
﴿ قَالَ أَلَدَىٰ عِندِهِ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَأَنَّا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ .. ﴾ (٤٠) ﴿

وهكذا أعطى الله - سبحانه وتعالى - من الخصوصية
لإنسان ما جعله يتفوق على من هم أعلى منه في قوانين
الخلق ، ويفعل ما لا يستطيعون أن يفعلوه وذلك بعلم
علمه الله له الكتب

وتغيرت القوايين

وهكذا يرى أن الله - سبحانه وتعالى - قد سر عى أن يُغَيِّرَ من قوانين خلقه ما يشاء . ولكن ليس هذا كل ما يحدث ، بل إن الله - سبحانه وتعالى - جعل قوانين مختلفة لنفس الخلق فى أطوار حياتهم المختلفة ، فالإنسان الذى يموت مثلاً وينتقل إلى حياة البرزخ ، يرى ما لا يراه الإنسان الذى ما زال فى مرحلة الحياة الدنيا .

فإذا قرأت القرآن الكريم تجد الحق - سبحانه وتعالى - يخبرنا بذلك ، فيقول سبحانه

﴿لَعَلَّ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢) [ق]

ألا يرى الإنسان الملائكة وهو يحتضر سواء كانوا ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، مصداقاً لقوله جل جلاله .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الدِّينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) [الأنفال]

و « لو » حرف امتناع أى أننا لا نرى ، ولكن الذى يحتضر يرى ، كما يرى ملك الموت ، الذى جاء ليقبض روحه إنش فهناك قوانين ، لكل مرحلة من لمراحل

التي يمرُّ بها الإنسان في رحلة حياته
ولكننا سنضرب مثلاً أسهل من هذا كثيراً سنضرب
مثلاً يحدث لكل واحد منا ، ويحدث له كل يوم وينتقل
من قانون إلى قانون في لحظة الإنسان وهو مستيقظ
خاضع لقوانين اليقظة ، فإذا نام انتقل إلى قوانين أخرى
لا علاقة لها بقوانين اليقظة ، فهو يرى وعيانه
مغمضتان ويمشي ويجري وقدمه لا تتحركان من فوق
السريـر ، ويتكلم ولسانه ساكن وهو يرى أشياء عجيبة ،
لم يرها في حياته الدنيا ، ولا تخضع لقوانين العقر
وقد يرى أنه يطير في الجو بجسده ، وأنه يسقط من
فوق جبل عال ولا يحدث له شيء بل وأكثر من ذلك ،
فيبه يرى الدين انتقوا إلى رحمة الله منذ سنوات
وبسنمع إبهـم وبكلمهم ويكلموه ، وتحدث له أشياء
يرفصها العقر المنطق ، ولكنه يراها في منامه تحدث
ما هي القوانين التي يخضع بها الإنسان عند النوم ؟
لا أحد يعرفها ، ولا يستطيع أن يحددها ، ولكنها مختلفة
تماماً عن قوانين اليقظة

وهكذا ينتقل الإنسان من قانون إلى قانون مختلف
تماماً ، بمجرد أن يضع جسده على السرير ويغمض
عينيه لينام ، وإذا استيقظ انتقل إلى قانون اليقظة ، في

قدرته المحدودة ، واستخدام حواسه البشرية لمعرفة ما يدور حوله ، فإذا نام مرة أخرى انتقل إلى قانون النوم ، بكل ما يعطيه من قواعد تختلف تماماً عن حالة الاستيقاظ .

وهكذا - كما ترى - فإن الإنسان نفسه ينتقل من قانون إلى قانون في لحظة وبمنتهى السهولة دون أن يدري أو يحس أن هناك شيئاً غير عارى قد حدث له ، فإذا كان هذا هو الحال مع البشر العادى فماذا يحدث مع رسول الله ﷺ خير خلق الله ، فى معجزة تتم بقدرات الله جل جلاله ؟

بلا شك أنه ينتقل من قانون إلى قانون إلى قانون ، حتى يصعد إلى السماء لسابعة ، ولا يجب أن يندهش أحد لذلك ، أو يشك فيه ، لأننا نحن البشر العاديين ، ننتقل من قانون إلى قانون إلى قانون ، ونشهد ذلك ونعرفه

فوق قدرة العقول

وإذا أردنا أن نتحدث عما رآه رسول الله ﷺ في معجزة المعراج ، فإنه كثير وكثير جداً ، ولكننا يجب أن نفهم أنه إذا كانت معجزة الإسراء .. هي معجزة تحدث للبشر ، فإن الإسراء لم يأت هكذا ، لأن الله - سبحانه وتعالى - جعل رسوله ﷺ يرى ما لا نسمع عقول البشر لإدراكه ، بل إن رسول الله ﷺ خلال المعراج رأى الجنة ، ورأى النار بما فيهما .

ولكن ، هل تتسع عقول البشر لإدراك ما في الجنة ؟ إن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

وبما أن المعنى يوجد أولاً ثم يأتي اللفظ بعد ذلك ، فلا توجد ألفاظ بشرية تستطيع أن تصف ما في الجنة ، ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يستطيع أن يجد الألفاظ التي يمكن أن تعبر عما رآه في الجنة ، والتي يمكن أن تُعبر عن كثير مما شهدته الرسول ﷺ

ولذلك ، فإن المعراج كان تثبيتاً للرسول - عليه الصلاة والسلام - وليعرف البشر أن الله - سبحانه وتعالى - قد أعطى لرسوله ﷺ أشياء فوق مقدور عقولهم وفوق مقدور تصور البشرية كلها وهذا يعطينا مؤشرين

أولاً منزلة رسول الله ﷺ عند ربه تلك المنزلة التي فاقت البشرية كلها ، وتعدتها إلى تفضيل لم يُعطه الحق - سبحانه وتعالى - لأحد من خلقه .

وثانياً إن كل شيء سيحدث في الدنيا وفي الآخرة موجود عند الله سبحانه وتعالى - وهو حو حلاله بيديه لنا عندما يشاء ولكن لا شيء يحرج عن علمه وكل شيء موحود في علمه ، ولذت فله سبحانه وتعالى - أمور بيديها ولا يتنديها أي أنها موجودة في علمه حل جلاله ، ولكنه بيديها لنا فنعرفها .

ولعلنا إذا التفتنا لآيات القرآن الكريم نجد قول الحق سبحانه وتعالى .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يسر]

وعلينا أن نتببه إلى قول الحق جل جلاله ﴿ لَهُ ﴾ . أي أن هذا الشيء مسوجود على أننا هنا لابد أن تلتفت ، إلى أنه وإن ذكر الزمن في الإسراء ، فإنه لم يذكر في المعراج ، لماذا ؟

لأن وجود الزمن في الإسراء كان له مبرر وهو الآيات البشرية التي رآها رسولنا ﷺ ، والتي كانت دليلاً عقلياً على حدوث المعجزة ، وما دام الحق - سبحانه وتعالى - أعطى الدليل العقلي ، في أنه خرق قوانين

الكون لرسوله في أمر حسي ، تدركه العقول ، وإن غاب
عن الحواس ، فإله جبر جلاله ، الذي حرق القرانين في
المعجزة الأرضية ، قادر على أن يخرقها في الصعود إلى
لسماء .

إن من فرحة بعقولنا ، جعلنا الله بالدليل العقلي نتأكد
من حدوث معجزة الإسراء ، حتى إذا حدث عن صعود
رسول الله ﷺ إلى اسماء هابنا تصديق ، فالأرض أرض
الله ، والسماء سماؤه وهو قادر على أن يُعَيِّر القوانين
في الأرض والسماء

آيات السماء

ولكن أحداً منا لم يصعد إلى السماء ، ثم يعود إلى الأرض حتى يمكن أن يسأل رسول الله ﷺ أن يصف له ما في السماء ، كما سأله أن يصف لهم بيت المقدس إذن فالمعجزة هنا في المعراج ، لا تحتاج إلى زمن ، كما احتاجت معجزة الإسراء ، فلذلك فالزمن فيها لم يذكر وليس عاملاً هاماً يلزم وجوده .

رسول الله ﷺ رأى في السماء الأولى آدم ، وفي السماء الثانية رأى يحيى وعيسى عليهما السلام ، وفي السماء الثالثة رأى يوسف ، وفي السماء الرابعة رأى إدريس ، وفي السماء الخامسة رأى هارون ، وفي السماء السادسة رأى موسى ، وفي السماء السابعة رأى إبراهيم كل هؤلاء أنبياء الله على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

هل هذا الترتيب الذي رآه الرسول للأنبياء في السموات يعنى أفضلية نبي على نبي أم أنهم جميعاً في منزلة « عالية » ؟

نقول إن الترتيب لا يعنى أبداً أفضلية والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز

﴿ آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ

وملائكته وكُتبه ورُسُلُه لا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه .. (٢٨٥) ﴿٢٨٥﴾

[البقرة]

إِنَّ مَالِ تَفْرِقَةٍ هَـمَا غَيْرِ مَوْجُودَةٍ ، وَالْقُرْبُ وَالْبَعْدُ مِنْ
اللَّهِ - سَبَاحَاتِهِ وَتَعَالَى - لَيْسَ بِالمَسَافَاتِ بَلْ إِنَّ الْقُرْبَ
وَالْبَعْدَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ لَا تَتَحَكَّمُ فِيهِ الْمَسَافَةُ
المَادِيَّةُ ، فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ إِنْسَانٌ يَجْلِسُ إِلَى جِوَارِكٍ ، بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ أَمْتَرٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْكَ ، لَا يَخْطُرُ عَيْنُ
بَالِكَ وَلَا تَحْسُ بِهِ ، وَإِنْسَانٌ بَعِيدٌ عَنْكَ مِائَاتِ الْأَمْيَالِ ،
وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ نَفْسِكَ ، فَأَنْتَ تَتَفَكَّرُ فِيهِ طَوْلَ
الْوَقْتِ ، وَتُحْسِنُ بِهِ كُلَّ لِحْطَةٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى نَفْسِكَ مِمَّنْ
يَعِيشُونَ مَعَكَ

وَهَذَا يَفْسِّرُ لِي مَعْنَى قُرْبِ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ ، لِأَنَّهُمْ
مَشْعُولُونَ بِهِ وَبِعِبَادَتِهِ ، وَنِكَرُهُ وَتَسْبِيحِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي
ذَلِكَ الْمَسَافَاتِ

معنى مشاهد المعراج

رسول الله ﷺ رأى أشياء كثيرة في المعراج ، لن نتعرض لها جميعاً ، ولكن سنعطي فقط بعض الأمثلة

مر رسول الله ﷺ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، وكلما حصدوا عاد الزرع في نفس ساعة الحصاد كم كان قبل أن يُحصد فسأل جرير من هؤلاء ؟ قال هؤلاء هم المحاهدون في سبيل الله ، تصاعف لهم الحسبة إلى ستمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فإنه يُضاعف لهم

ورأى - عليه الصلاة والسلام - امرأة عجوراً هائرة عن دراعيهما عليها من كل زينة فلم يسأل رسول الله ﷺ عنها قال جرير هذه هي اسنيد

وهي المثل يعسر إسبا معنى الحدة الدنيا وهي أنها تغري بناس يزيدتها وتعسرهم وسكنهم لا يحذون منها شيئاً

لمس رسول الله ﷺ الدنيا في صورة امرأة عجور « لأنه لم يبق من عمر الدنيا الكثير ، فرسول الله ﷺ يقول « نعتت أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعه . وهذا دليل على أن الساعة قد اقترت ، ولم يبق من عمر الدنيا الكثير ، ولذلك فهي تبدو كامرأة عجور

ولكن الإنسان لا يجب أن يشغل نفسه بعمر الدنيا ،
لأن عمر الدنيا لا يقاس بما بقي من حياة الكور ولكن
بفاس بعمرك أنت فيها ، وإذا كان متوسط عمر الإنسان
ستين أو سبعين سنة ، فبقاؤك في الدنيا قصير ، محدود
بعمرك وينتهي .

فكأن الدنيا مهما أعطتك فإن عمرها بالنسبة لك
قصير ، ستور أو سبعون سنة ولذلك هي تبدو دائماً
كمراه عجور لأن الإنسان لا يمكث فيها إلا قليلاً

الرؤوس والصلاة

ثم رأى رسول الله ﷺ أشخاصاً يرضخون رؤوسهم بالصخر ، أى يضربونها بالصخر بشدة حتى تُشق وتسيل منها الدماء . ثم تعود كما كانت ، ويعودون هم مرة أخرى ليضربوا رؤوسهم بقوة فى الصخر ، ثم تعود كما كانت فقال الرسول الكريم من هؤلاء يا جبرين ؟ قال هؤلاء ادين تنذقر رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة

هذا المثل يرينا أن العنوة بأسى من واقع الأوامر المبهجة ، فكما عُرِضَ على رسول الله ﷺ اللبن والخمر فاحتار اللبن فقل هُديت إلى افطرة لآل افطرة بطبيعتها نقبة والى شربه لا صنعة للإنسان فيه ، بينما الخمر لا بد أن نترك الثمر الذى تصنع منه حتى يتعفن ويتحمر

واللأسل أننا بشره كم خقه الله يحفظ لنا عقولنا وجسادنا سسمة سما الخمر - لأنها دخلت فيها صناعة ابشر - تُفسد العقر وتُعطله ، والله - سبحانه وتعالى - يريد عقل الإنسان واعياً ، حتى ينفذ التكليف من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك

هذا العقل عندما تُعييه بالخمر فكأنك - بفعلك هذا - رددت على الله نعمته الكبرى التى تُمكنك من أداء

التكاليف فكيف تصلى ، أو تصوم ، وعقلك غائب ١٩
إذن تغييب العقل هذ جريمة كبرى فى حق التكليف ،
فإذا جئنا إلى المتكاسلين عن الصلاة ، فإن الذى يجعل
الإنسان يتكاسل عن الصلاة . هو عقله وفكره لأن
العقل يصور له أنه لو ترك البيع .. فسيفلس وسيذهب
رزقه ، فيستمر فى التجارة ويتكاسل عن الصلاة ، أو
يفكر فى مشكل أخرى خاصة بحركة الحياة ، ويتكاسل
عن الصلاة ، ولذلك جاء العقاب فى المكان الذى يوجد
فيه العقل مناط التكليف ، لأن المجنون والذى لا يكتمل
عقله لا يكلف .

ورأى رسول الله ﷺ خلال المعراج ، قوماً تُقرض
السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرِضَتْ
عادت كما كانت ، فسأل مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال
هؤلاء خطباء الفتنة ، الذين يقولون ما لا يفعلون ، وأى
شئ فى الدنيا قد لا يتأثر فى الفصل بين القول
والفعل . قدر تأثر منهج الله ، ذلك أن عالم الدين لا بد
أن يكون قدوة ، حتى يتبعه الناس ويستمعوا له .

فعالم الكيمياء مثلاً أو انفلك أو الهندسة .. قد يفعل
ما يشاء من سلوك غير قويم . ولكن هذا لا يؤثر على أن
يأخذ عنه الناس علم الهندسة أو الطب أو الكيمياء أو غير

ذلك ، إلا عالم الدين ، إذا لم يكن قدوة دينية وسلوكية ،
 انصرف عنه الناس ، ورفضوا أن يأخذوا عنه دينهم .
 ولذلك ، فإن خطباء الفتنة هؤلاء الذين قالوا شيئاً ،
 وفعلوا شيئاً مخالفاً ، صرفوا الناس عن دينهم ، لأن الله -
 سبحانه وتعالى - قد مكّنهم من الدين ومن وعظ الناس ،
 ومع ذلك لم يراعوا هذه النعمة بأن يكونوا قدوة دينية
 سلوكية ويعملوا بمنهج الله بل انطلقوا يفعلون غير
 ما أمر به الله ، وعندما أحسّ النفس بذلك رفضوا أن
 يأخذوا عنهم العلم وضلّوا .

ولذلك تقرض شعاهم وألسنتهم التي كانت سبيلاً في
 أن ينصرف الناس عن الدين ، وأن يبتعدوا عن منهج الله
 ويلفتنا الحق - تبارك وتعالى - إلى ذلك فيقول
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَرِهَ الْمُقْتَدِرُ
 اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف]

مسئولية الكلمة

ورأى رسول الله ﷺ صحرة يخرج منها ثور كبير ، ويريد الثور أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع قال جبريل لما سأله رسول الله ﷺ إن هذا مثل الرجل يعطى الوعد ويقسم عليه ، ثم لا يستطيع أن يفي به ، ولا أن يرجع فيما وعد وأقسم

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يطالبنا بالألّا نُكثِر من القسم ، وألّا نعد بشيء إلا ونحن قادرون على انوفاء به ، ولذلك يقول الحق حلّ حلاله

﴿وَلَا تَحْدُوا أَيْمَانَكُمْ دَحَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الاحزاب]

وقوله تبارك وتعالى

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْصُوا الْاَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ..﴾ (٩١)

[اسل]

والرجل يقول الكلمة ويعطى العهد ، وقد لا يتنبه أن عليها حساباً ، ويحاول الرجوع فيهما فلا يستطيع

على أن هناك مرائى كثيرة رآها رسول الله ﷺ في المعراج ، وهذه الآية الكبرى التى أراها له الله ، وهناك سُدرة المنهى التى وصل إليها رسول الله ﷺ ، وهناك الكثير مما سنتحدث عنه .

الفصل السادس

الآية الكبرى



ما زلنا مع ما رآه رسول
الله ﷺ في معجزة المعراج ،
ووصوله إلى سدره المنتهى ، وإذا
كنا سنعرض لبعض ما رآه رسول
الله ﷺ فإننا سنعطى أمثلة فقط ،

لأننا لن نستطيع الإحاطة بكل الروايات
والداس في الدنيا مشغولون بشيئين امال يجمعونه
من حلال وحرام ، وأعراض الناس يعتدون عليها قولاً
وفعلًا .

إن المال والعرض هما أساس الفساد في الأرض ،
المال رآه رسول الله ﷺ فيما سببتعرض له أكلة الرب ، فقد
رأى رسولنا - عليه الصلاة والسلام - قوماً يسبحون في
بحر من دم ، ويلقفون الحجارة بأفواههم ، فسأل عنهم
جبريل عليه السلام فقال هؤلاء أكلة الربا

وهذا تجسيد مادي لما يفعله أكلة الربا ، ذلك أن الدم
حين يكون في الجسد يكون نافعاً ، وحين يخرج من
الجسد يكون فاسداً لا فائدة منه ، فكان هؤلاء الذين
يأكلون الرب ، هم الذين أخرجوا المال عن وظيفته النافعه
في الحياة ليفسدوه بالربا ، وبذلك يكونون قد منعوا المال

من أن يؤدي دوره في حركة الحياة ، فيضيع الاقتصاد في الأرض . ولذلك فهم استبدلوا بالغذاء النافع للإنسان . لَقَمَ الحجارة التي لا تنفع .

والربا معناه أن يزداد الغنى غنىً والفقير فقراً وليس هذه هي وظيفة المال في الدنيا ، لأن المال يستخدم في عمارة الأرض وفتح أبواب العمل للناس ، والتصدق على لفقير والمحساج . ولكن الربا بدلاً من أن يجعل الدم يجري في العروق ، ليعصى الإنسان القدرة على العمل والإنتاج ، أخرجه من العروق ليصبح وسيلة لعدم العمل وعدم عمارة الأرض

فالمرابي لا يزداد ماله بالعمى . ولكن باستغلال حاجة اناس . وهؤلاء أكلة الربا في بطونهم النار ، والنار وقودها الحجارة ، ولذلك فهم يُلْقَمُونَ الحجارة حتى تستمر النار مشتعلة في بطونهم لا تنطفئ أبداً . فهم يلقمهم بالحجارة صغاراً لئلا تستمر لوقود حتى لا تنطفئ النار

أما عن الأعراض التي تمثل الفساد الدنى في الكون ، فقد رآها رسول الله ﷺ في صورة الذين يعتدون على أعراض الناس قولاً وفعلاً ، ولذين يعتدون على أعراض الناس قولاً فقوم لهم أطافر من نحاس يخدشون بها

وجوههم وصدورهم ، والوجه هو أكرم شيء في الإنسان .

فأنت عندما تريد أن تذل إنساناً تقول إنك وضعت أنفه في اتتراب ، ومعنى ذلك منتهى الذلة . وهؤلاء قد اعتدوا على أعراض الناس قولاً .. وشرّوها صورتهم ، فيأتي الله بهم يوم القيامة ، ليشوّهوا أكرم شيء فيهم وهو الوجه ، حذاءً بما شوّهوا به صور الناس .

الحلال والحرام

ورأى رسول الله ﷺ أناساً يتركون اللحم الطيب أمامهم ويأكلون اللحم الفتن ، فسأل جبريل عنهم فقال هؤلاء هم الزناة ، الرجل تكون عنده المرأة حلالاً طيباً فيتركها ويذهب إلى المرأة في الحرام والمرأة يكون عندها الرجل حلالاً طيباً ، وتذهب إلى الرجل في الحرام ورأى رسول الله عليه الصلاة والسلام - رجلاً يحمل حملاً لا يقدر عليه ، ثم يمد يده إلى شيء آخر ليزيد حمله ، وقال جبريل هؤلاء هم الذين يحملون الأمانات ويعجزون عن أدائها ، ومع ذلك يحبون أن يزيّدوا ظهورهم حملاً بقبور أمانات جديدة

هذه هي بعض المرائي التي رآها رسول الله ﷺ .

وقد يتساءل بعض الناس كيف رأى رسول الله المتكاسل عن الصلاة ؟ مع أن الصلاة المكتوبة في الإسلام لم تكن فُرِضَتْ ، وكيف رأى كل ما رأى مع أنه لم يأت زمانه بعد ؟

نقول : إن الله - سبحانه وتعالى - عالم غيب السماوات والأرض ، كل شيء موجود في علمه

وإذا كنا نحن البشر إذا أردنا أن نبني عمارة ، جعلنا لها نموذجاً مُصغراً يُسمّى « ماكيت » وكلما كان المهندس

بارعاً كان هذا النموذج بالغ الدقة والنفصيل ، فكيف بالله سبحانه وتعالى وهو المبدع الأعظم لهذا الكون .
عنده صورة لما سيحدث في كونه ، من بداية الخلق إلى
الخلود في الجنة أو النار ، وما سيحدث بعد ذلك ، مما
لا يعلمه إلا الله

وإذا كان المهندس البشرى كلما كان بارعاً ، فامت
العمارة وفق النموذج الذي أعدّه لا يختلف عنه ، كذلك
عمارة الكون تتم وفق علم الله القدير الذي لا يعيب عنه
شيء في الأرض ولا في السماوات ، والتنفيذ هنا بقدرة
الخالق ، وما دام الله - سبحانه وتعالى - وحده ، عنده
عَيب السماوات والأرض ، ففي علمه كل شيء ، وكما
قلنا ، فإن عنده جل جلاله أموراً بيديها ولا يبتديها

ما هي سدرة المنتهى ؟

وظل رسول الله ﷺ ومعه جبريل يصعدان حتى وصلا إلى سدرة المنتهى ، وسدرة المنتهى هي المكان الذي ينتهى عنده علم الخلاق كلها ، ولو بالوحى إذن فسدرة المنتهى هي التى ينتهى عندها علم خلق الله سبحانه وتعالى . إسمًا وجنًا وملائكة ، حتى الأشياء التى تُوحى . تقف فى العلم عند سدرة المنتهى يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) ﴾ [الحم]

وهنا نسأل مَنْ الذى رآه الرسول مرة أخرى ؟ يقال إنه جبريل رآه فى صورته كما كان ينزل بالوحى طوال رحلة الإسراء ، ثم رآه فى صورته الملائكية الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى .

ولابد أن يفهم أن القوانين التى خضع رسول الله ﷺ لها عند سدرة المنتهى ، كانت أرقى قوانين الخلق ، لأنه وصل إلى المكان الذى ينتهى عنده علم الخلق كلهم ، وعند سدرة المنتهى لا يمكن لأى مخلوق من مخلوقات

الله . أن يصفها أو يصف جنة المأوى .

إن لعلم لكى ينتقل من بشر إلى آخر لا بد له من أسلوب ، والأسلوب يحتاج إلى اللغة ، واللغة تحتاج إلى توضيح ، والتوضيح يوجب علينا أن نوجد المعنى أولاً ثم بعد ذلك يوحد له اللفظ ، وهذه أمور لم تسمعها آذاننا ولم ترها عيوننا ، ولم تدركها عقولنا ولا خطرت على قلوبنا . كيف نصنع لها ألفاظاً ؟

لا بد أن نأخذها عن الله سبحانه ونعائى بما أخبرنا به ، دون أن نسأل كيف ؟ أو نحاول الحصول على توضيح ، لأننا عاجزون . فإذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى - بشيء يقرب الصورة إلينا فإنا نأخذها عن قول الله تبارك وتعالى

ولذلك عندما يحدثنا الله - سبحانه وتعالى عن الجنة فإنه لا يعطينا صورتها لأنه ليس عندنا معانٍ تعطينا الصورة الحقيقية ولكنه حر حلاله بقول ﴿مِثْلُ نَضْدَةٍ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ نَحْمِيهِمْ عَنْ شَرِّهَا الْإِهَارَ كُنْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا ..﴾ (٢٠) ﴿

ولكن من هذه هي الجنة - إنها مثله فقط ، لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

قلب بشر فلا يمكن أن يسنوعب العقل البشرى ما فيها ،
ولكن الحق سبحانه وتعالى يُقَرِّب الصورة إلينا بقدر
ما تفهم عقولنا المحدودة

فإذا وصلنا الى المرحلة التى يدخل فيها المؤمنون
الجنة ، فإننا سرى - إن شاء الله - نعيماً لا يعرفه أهل
الأرض وليس لهم إلْفٌ به ، لأنه فوق قدرة عقولنا
جميعاً .

الآية الكبرى

الحق عز وجل يقول

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ [احم]

وإذا تدبرنا هذه الآية لوجدت أنها إخبار من الله - سبحانه وتعالى لنا ، وليست إخباراً من رسوله ﷺ رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يقل رأيت الآية الكبرى ولكن الله عز وجل هو الذي أخبرنا بها ، ولكن هل أخبرنا الحق سبحانه وتعالى - بها لأننا سنفهم أو سنعرف ؟ أو نستطيع عقولنا أن تستوعب ما هي الآية الكبرى لله سبحانه وتعالى ؟ طبعاً لا ، فنحن قاصرون عن فهم آيات كثيرة لله - تبارك وتعالى - فما بالك بالآية الكبرى^{١٩}

إن لله جل جلاله آيات لا تُعدّ ولا تُحصى ، آيات نراها وندركها ، وآيات هي غيب عنا في الأرض وفي السماء لا نراها ولا ندركها ، والكون كله آيات قد لا نقتنبه إلا لقليل منها

ولقد ورد اسم الآية الكبرى بالنسبة لموسى عليه السلام - في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَاصْنُمْ يَدَكَ إِلَى جَنْحِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى (١٢) لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (١٣)﴾ [طه]

نقول إن الله سبحانه وتعالى - آيات كبرى فى الأرض ، وآيات كبرى فى السماء ، ولقد رأى موسى عليه السلام الآية الكبرى فى الأرض أما رسولنا ﷺ فلقد رأى آية ربه الكبرى فى لسماء .

أحبرنا الله حل جلاله أنه أرى رسولنا الكريم الآية الكبرى فى السماء . وهذا الإخبار ليس مقصوداً به أن نفهم ونعرف ما هى الآية الكبرى لله - سبحانه وتعالى - لأنها كما قلنا فوق طاقة عقولنا ، ولكن المقصود بها هو أن نعرف المنزلة الرفيعة لرسول الله ﷺ عند ربه

وما دام رسول الله عليه الصلاة والسلام - قد رأى الآية الكبرى ، فلا بُدَّ أنه رأى قبلها آيات وآيات ولكن بعض المفسرين يقولون إن معنى قوله تعالى

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨) [السجدة]

أن رسول الله ﷺ رأى الآيات الكبرى لله أى آيات العظيمة لله سبحانه وتعالى ، وأن الكبرى وصف للآيات بأنها كبرى ، ولكن السياق يؤكد أن رسول الله ﷺ رأى الآية الكبرى من آيات ربه ، فأيات الله التى رآها رسوله الكريم فى اسماءات كلها آيات كبرى ، وحسبها عظمة أنها منسوبة لله سبحانه وتعالى .

ولكن هناك آية كبرى رآها رسولنا عليه الصلاة

والسلام . تقف العقور عندها بلا حركة . ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [السجدة] لو أخذناها بالسباق اللغوي ، كان معناها لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه ، فكان الكبرى هي المفعول ، وليست وصف الآية .
ولذلك عندما نقرأ الآية الكريمة ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ [النجم] ماذا رأى من هذه الآيات ؟ رأى الآية الكبرى ، ولقد كانت رؤية رسول الله ﷺ للآية الكبرى هي المرحلة الأخيرة في رحلة المعراج

وقف جبريل .. وتقدم الرسول

لقد كان جبريل عليه السلام يصاحب رسول الله ﷺ طوال رحلته في السماوات ، ولكن الآية الكبرى لم يقدر عليها جبريل ، ولا أحد من الملائكة المقربين لله سبحانه وتعالى - بل انفرد برؤيتها رسولنا الكريم .
ولذلك ، فإن جبريل كان يتقدم رسولنا لكریم ، ويسأله الرسول عما يرى ، ويفيده جبريل طوال رحلة المعراج وعندما وصلا إلى سدرة المنتهى ، حيث رأى رسولنا الكريم جبريل على الهيئة التي خلقه الله عليها . وليس على الهيئة التي كان ينزل بها في الوحي ، عندما وصل رسول الله ﷺ وجبريل إلى سدرة المنتهى لم تكن رحلة المعراج قد انتهت . وإنما كان لها بقية ، فأراد رسول الله ﷺ من جبريل أن يتقدمه في بقية الرحلة ، كما حدث في المعراج كله ، ولكن جبريل امتنع وقال لها مقامى .. لو تقدمت لاحتترقت . وأنت يا رسول الله لو تقدمت لاحتترقت

ما معنى هذه الجملة ؟ معناها . أن قوانين ملائكية جبريل لا تسمح له إلا بالوصول إلى سدرة المنتهى ، وهي كما قلنا التي ينتهى عندها علم الخلائق كلها ولو بأوحي ، ولذلك فإنه إذا تقدم فإن قانونه لا يتحمل فيحترق

درجة لا تتحملها الملائكة

ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى درجة لا تتحملها ملائكة جبريل عليه السلام ، فأصبح رسولنا الكريم وحده الذى يستطيع أن يتقدم وأن يخترق وبهذا تكون الآية الكبرى هى المرحلة الأخيرة للمعراج التى لم يقدر عليها جبريل ، ولا أحد من الملائكة ، وانفرد رسول الله ﷺ بها

ولقد رأى رسولنا ﷺ خلال رحلة المسعراج مشاهد كثيرة ، رآها رمزاً مقدوراً ، وسنراها رمزاً معقولاً بالنسبة للناس فى الآخرة .

والحق سبحانه وتعالى يُحْكَمُ آيانه فى كل ما يقع فى الكون ، فهو بعلمه وقدرته يحكم الآيات حتى فى الأمور التى للبشر اختيار فيها .

ولذلك عندما نزلت آيات الكريمة

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) ﴾ [المسد]

هذه الآية أخبرتنا بمصير أبى لهب ، وهو ما زال على قيد الحياة أى فى فترة الاختيار البشرى ، ومع ذلك فإن أبى لهب لم يخطر على باله أن يعلن إسلامه ولو نفاقاً أو رياء ، ليهدم قضية الدين ، بل بقى على كفره ، ليكون

وهو الكافر آية على صدق القرآن الكريم

وعندما نزلت الآية الكريمة :

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَنْ بَعَدَهُمْ سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا نَدَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ذُلًّا وَمِنْهُمْ مَنِ انْتَحَبَ الدِّينَ﴾ (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد
عليهم سبعون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) [الروم]

لم يخطر على بال أحد من الروم أو الفرس أن يتقدم
لعقد صلح أو إنهاء حرب ليهدم الدين الجديد ، ورغم أنه
قد مر حوالى تسع سنوات ، بين نزول الآية الكريمة
وانتصار الروم ، وكان هذا الزمن كافياً جداً ليعقد
لفرس والروم صلحاً ويتجنبوا الحرب ، فإن هذا لم
يحدث ووقعت الحرب وانتصر الروم كما أخبر القرآن .

كل هذا يرينا أن المشاهد التى رآها رسول الله ﷺ
وهى واقع مقدر أى ما زال فى قدر الله ستتحقق لما
رآها رسولنا الكريم وسنراها واقعاً فى الآخرة

حقيقة وصاية موسى

إلى هنا ونأتى إلى النقطة الأخيرة . وهى فرض الصلاة ، وكل أركان الإسلام وأحكامه جاءت بالوحي ، إلا الصلاة . فإنها فُرضت بالأمر المباشر من الله - سبحانه وتعالى - فالصلاة هى الصلة بين السماء والأرض ، وهى صلة العبد بربه ، وهى الرمز لعبودية الإنسان للحالق العظيم

وكما قلنا . فإن كل الرسائل السماوية جاءت لتبين للناس كيف يعبدون الله ، العقل البشرى يستطيع أن يصل إلى أن هناك قوة كبرى هى التى خلقت وأوجدت هذا الكون ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى ما يريده الله من خلقه ، وكيف يعبدونه ؟ وما هو منهج الحالق العظيم ؟

والصلاة هى جامعة لأحكام الدين كله ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت صلح الدين كله ، ولذلك ، لعظيم قدر الصلاة التى فيها العبودية احقة لله والسجود له فُرضت بالأمر المباشر من الله جل جلاله ، إلى رسوله ﷺ .

وستحدث تفصيلاً عن الصلاة فى كتب قادمة تصدر عن هذه المكتبة . إن شاء الله

الصلاة المفروضة من الحق سبحانه وتعالى
عبادة تُقَرَّبُكَ من الله ، أو تُقَرِّبُكَ من خالقك ، فهي
لا تعطيك مالاً ولا حاشاً ولا أى شيء دنيوى ،
والإنسان صناعة لله تبارك وتعالى ، فانه هو خالقه ،
وكل صناعة تقف أمام مهندسها ومُوجدِها كل يوم خمس
مرات ، لا بُدَّ أن تكون على أَوْفَى شيء من الصلاح
وإذا كان المهندس من البشر يصلح الآلة بالماديات ،
فانه - سبحانه وتعالى - يصلح عبده - الذى يقف بين
يديه خمس مرات كل يوم - بالغيبات ، فتجد أنك بعد
الصلاة قد ارتاحت نفسك وزالت همومك ، وأصبحت قوياً
فى مواجهة أحداث الحياة

وأركان الإسلام الأخرى قد تسقط عن العبد ، فالفقير
تسقط عنه الزكاة ، والمريض يسقط عنه الصوم ، وغير
المستطيع يسقط عنه الحج ، ولكن الصلاة لا تسقط عن
المؤمن أبداً فإنه إذا لم يستطع أن يصلى واقفاً صلى
جالساً ، فإن لم يستطع صلى راكداً ، فإذا لم يستطع
أجرى الصلاة على حوارحه ، ولذلك فهي لا تسقط أبداً
وإذا أردنا أن ندخل فى الموضوع وهو فرض
الصلاة . فالروايات قلت إن الله سبحانه وتعالى -

فرض خمسين صلاة في اليوم والليلة . وعندما التقى رسول الله ﷺ وهو عائد بموسى عليه السلام ، قال له ارجع إلى ربك واسأله التخفيف وتكرر هذ حتى صارت خمسا في الأداء وخمسين في الثواب هنا يحب أن نفرق بين عداوتنا لليهود وموسى عليه السلام فموسى رسول من أولى العزم ، ولا يجب أن يكون في نفوسنا له إلا الحب والتقدير ، بصرف النظر عن شعورنا نحو اليهود ، الذين بدلوا وعيسروا في التوراة ، ولو أن هؤلاء كانوا أتباع موسى حقا لآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام لأنه مذكور عندهم في التوراة ، ولكن اليهود أتباع موسى اسما وليسوا أتباعه حقا .

لقد قالوا إن لقاء رسولا ﷺ بموسى ، وما تبعه من تخفيف الصلاة هو فرض الوصاية موسى على الإسلام ، وهذا غير صحيح

ما هي الوصاية ؟ هي ان تفرص الشيء الذي تريده وبو قهراً على صاحبه ، هل فرض موسى عليه السلام شيئاً على الإسلام قهراً أو اختياراً ؟ لم يحدث ذلك وكانت هذه العبارة - عبارة الوصاية تكون صحيحة لو أن موسى هو الذي خفف الصلاة من خمسين إلى

خمس ولكن من الذى خفض عدد الصلوات ؟ إنه الله جل جلاله هو سبحانه وتعالى الذى فرض ، وهو سبحانه وتعالى الذى خفف فأين الوصاية والأمر كله من الله رسولنا ﷺ عاد لمصدر التشريع لأصلى ، ومنه أخذ الأمر ، ومنه كان التشريع ، فكيف يقال إن هناك وصية من أحد ؟ والأمر كله لله .

إذا كان هناك شيء يستدل عليه من تحقير عدد الصلوات وإبقاء ثوبها دور أى نقصان ، فهو أن الله سبحانه وتعالى - كان رحيماً بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فأبقى الثواب كما هو لم ينقص ، مع تحوير عدد الصلوات .

إذن فالوصاية هنا هي لله سبحانه وتعالى - وحده ، فهو جل جلاله الذى شرع ، وهو الذى خفف ، ولا يمكن أن يقال أى تفسير آخر .

إلى هنا وينهى من حديثنا ، عن معجزة الإسراء والمعراج . تلك المعجزة التى ماقت كل المعجزات فقد أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وعُرج به إلى سدة المنتهى ، و ﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (A) ﴿

[النجم]

وهنا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى - قد قال ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨) [الحج] ولم يقل أَرَبَّنَاهُ لِمَاذَا ؟ لأر رسول الله ﷺ في هذه المنزلة لعالية رأى بنفسه ، ولم يكن في حاجة إلى إراءة ، لأنها منزلة عالية جداً ، ليس فيها ما يحجب الرؤية والله نسأل التوفيق والهدى .

الفهرس

صفحة

	الفصل الأول :
	قبل المعجزة
٣	■ الرسول والرسالة
٥	■ الحق والظلم
٩	■ محاولة التشكيك والتعذيب
١٢	■ بشارة السماء
١٤	■ وزاد جنون قريش
١٨	■ وجاء مدد السماء
٢٠	الفصل الثاني :
	سبحان الذى أسرى
٢٣	■ الفعل لله
٢٧	■ معنى سبحان
٣١	■ الإسراء بالروح والجسد
٣٤	■ العبد والرسول
٣٧	الفصل الثالث :
	لماذا كانت غيباً ؟
٤١	■ رؤيا الرسول تتحقق
٤٦	

صفحة

- ٤٩ ■ وجاء جبريل
- ٥٠ ■ معجزة غيبية .. لماذا ؟
- ٥٤ ■ المعجزة ودليل العقل
- ٥٧ ■ الذين ارتدوا
- ٥٩ ■ وحقت المعجزة هدفين
- الفصل الرابع :**
- ٦١ ■ من مكة إلى بيت المقدس
- ٦٦ ■ معنى المسجد الحرام
- ٦٨ ■ السجود والإنسان
- ٧١ ■ ما هي البركة ؟
- ٧٤ ■ ورأى الرسول آيات
- ٧٧ ■ صلاة الرسول بالأنبياء
- الفصل الخامس :**
- ٨١ ■ آيات السماء
- ٨٦ ■ الأدنى والأعلى
- ٨٨ ■ وتغيرت القوانين
- ٩١ ■ فوق قدرة العقول
- ٩٤ ■ آيات السماء
- ٩٦ ■ معنى مشاهد المعراج
- ٩٨ ■ الرؤوس والصلاة

صفحة	
١٠١	■ مسئولية الكلمة
	الفصل السادس :
١٠٣	الآية الكبرى
١٠٨	■ الحلال والحرام
١١٠	■ ما هي سدرة المنتهى ؟
١١٣	■ الآية الكبرى
١١٦	■ وقف جبريل .. وتقدم الرسول
١١٧	■ درجة لا تتحملها الملائكة
١١٩	■ حقيقة وصاية موسى

رقم الإيداع ٩٧/٥٨٦١

الترقيم الدولي

L. S. B. N.

977 - 08 - 0336 - 7

طبع بمطابع دار أخبار اليوم